روايات عبير



ليليان بيك

وجوه الغيرة

١٢٣

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 123

وجوه الغيرة

كانت تعني كل شيء بالنسبة لرجلين. . . دانيال الرقيق الهادىء الذي يحلم بأن تكون زوجته، وماك ديلاني الموسيقار المعروف الذي أصيب بحادث اصطدام وعاش وحيداً في مزرعة مهجورة، حاقداً على العالم، فاقد الثقة بالنساء ولا سلوى له الا مرارة الذكرى.

وبينهما. . اوليفيا التي فتحت قلبها لسمفونية الحب ذات ليلة عاصفة. منحت الفنان المعذب كل شيء، فلم يقابلها الا بالسخرية. وعلمها معنى الغيرة. ولكن المعركة الحقيقية كانت بين عقلها وقلبها. وحتى طوفان الغيرة الأعمى لم يكن كافياً ليطفىء نيران النشوة الحلوة اللافحة التي تتقد في اعماقها. . .

لبنان	١٠ ل.ل.	الكويت	١ د	اليمن	٤ ر	السودان	٨٠٠ م
سورية	١٠ ل.س.	الامارات	١٢ د	تونس	١,٥٠٠ د	U.K.	£ 1.50
الأردن	٨٠٠ ف	البحرين	١,٥٠٠ د	ليبيا	١ د	France	F 10
العراق		قطر	١٢ ر	المغرب	٥ د	Greece	Drs 200
السعودية	١٢ ر	عمان	١,٥٠٠ ر	مصر	١٢٥ ق	Cyprus	P 1.50

١ - غريب في الغابة

كانت السماء تنذر بسقوط المطر والثلج حين توقف محرّك السيارة. فامسكت اوليفيا بالمقود بشدة. وحاولت ان تقنع نفسها بأن كل شيء على ما يرام وأدارته من جديد، دون جدوى.

عندها تذكّرت ما قاله لها الاصدقاء بأن بداية شهر آذار فترة غير ملائمة للسفر، لكنها رغم ذلك ارادت ان تزور الحقول والتلال الخضراء في شمالي انكلترا. الا انها في تلك اللحظة ادركت انها لمختارت وقتا غير ملائم للقيام بمثل هذه الرحلة ولكنها ولأول مرة في حياتها، أرادت ان تقوم بعمل أخرق. فقد أمضت أيام صباها بالعمل المتواصل... ممرضة تعتني بسيدة

عجوز أو ابنة أخت مخلصة لخالة متطلّبة ومحبة . . .

عبثاً حاولت ان تدير المحرّك قبل هبوط المطر. لكن خيوط الماء انهمرت وتساقطت قطرات كبيرة على زجاج السيارة. ومع صوت المطر تذكرت أمر الوقود!!

لن تسير السيارة على الهواء! وهي لم تملأ خزّان الوقود. وقد سارت ساعات بعد ان تناولت طعام الغداء ونسيت انه لا وجود لمحطات البنزين في تلك المناطق النائية التي تكاد تخلو من السكان.

تنهّدت اوليفيا ونظرت حولها. ثم اغمضت عينيها وتخيّلت بهاء الهضاب الجنوبية ودروبها الجميلة ولوحات الاتجاه. ثم فتحت عينيها لكنها لم تر أية لوحة اتجاه، ولاحظت انه لا يحيط بها سوى صور كلسية جرداء. فانتابها شعور بالخوف والقلق. وتمنّت لو تستطيع ان تهرب من تلك الورطة بغمضة عين.

لكن الى أين تهرب، وأي اتجاه تسلك؟

الحقول الشاسعة تمتد امامها الى ما لا نهاية، لكنها لا ترى اي كائن حيّ غير الطيور التي تمرّ بها غير مبالية، او الخراف المبعثرة على الروابي البعيدة.

كبر فيها القلق لكنها استسلمت للأمر الواقع، وادركت انها لن تستطيع ان تدير المحرك، فان السيارة لن تتحرّك من مكانها. فجأة توّقف المطر فغادرت السيارة. أقفلت الابواب ثم توجهت الى الصندوق فأخرجت حقيبة تحتوي على بعض أدوات الزينة ووعاء فيه شيء من القهوة وعلبة صغيرة من

الكريما.

كان هذا كل ما تملكه من طعام.

كانت السيارة تقف في مكان أمين، بعد ان أبعدتها اوليفيا عن الطريق العام واوقفتها على العشب. التفتت حولها بخوف وتذكرت انها خلال ساعة كاملة لم تلتق الا بسيارتين. ورغم ذلك شجّعت نفسها، وأملت ان يمرّ بها أحد قريباً.

عضّت على اسنانها وحملت حقيبة طعامها بيدها ثم علقت حقيبة يدها بكتفها وسارت باتجاه المجهول. لكن الظلام هبط باكراً لأن السماء كانت ملبّدة بالغيوم السوداء. لم تكن تقصد أي مكان، لكنها كانت تسير فقط كي لا تفقد الأمل. ومرّ الوقت بطيئاً واوليفيا وحيدة. فجأة رأت على جانب الطريق حجراً قديماً حفرت عليه كلمات استطاعت ان تقرأ منها القسم الاول: على بعد ثلاثة أميال من . . . فقد محت السنون الجزء الاخير من العبارة وأضاعت اسم المكان.

على ذلك الحجر الصغير جلست اوليفيا بحذر وتناولت ما تبقّى لها من قهوة وكريما بينما المطر ينهمر. لكنها لم تبال لأن قبّعة سترتها المبطّنة كانت تقيها من البلل.

كانت ترتدي بنطالاً من القماش المتين لا تتسرب اليه المياه بسهولة وتنتعل حذاء مريحاً. لذلك صممت ان تتابع السير علّها تجد نهاية لهذه الرحلة المضنية . . .

دقائق طويلة، ولاح لها في البعيد ضوء، فاعتقدت للوهلة الاولى ان النور لم يكن الاّ وهماً. لكنها استطاعت ان تلمح

بريقه البعيد بين خيوط المطر. وتأكدت ان مصدره بيت ناءٍ في هضبة بين الاشجار. فراحت تتقدّم شيئاً فشيئاً باتجاه الضوء حتى باتت على مقربة منه. وكان خوفها يزداد كلما اقتربت.

عند مدخل الطريق المؤدية الى مصدر النور توقفت قليلاً وتساءلت... هل تتابع سيرها في تلك الدرب المهجورة؟ تردّدت للحظات لكنها كانت تأمل بأن تلتقي اناساً طيبين يستضيفونها ريثما يتوقف المطر. لذلك تابعت خطواتها حتى أدركت النور. واكتشفت انها امام مزرعة فتحت بوابتها الكبيرة فأثار الأمر دهشتها وتساءلت كيف يمكن لمزارع حريص على حيواناته ان يترك بوابة مزرعته مفتوحة؟

لذلك تخيلت ان المزرعة لا بد ان تكون مهجورة لا سيما وان سقفها يكاد ينهار، ونوافذها مخلّعة كاد أملها يتلاشى لكنها فجأة سمعت نباح كلب.

من أين تراه أتى؟

ومن اين يتسرّب النور؟ لا بد ان يوجد انسان في داخل المزرعة وهذا هو المهم!

كان المطر يهطل بغزارة ويبلّل ثيابها حين طرقت اوليفيا الباب وطلبت النجدة. لكنها لم تسمع سوى صدى طرقاتها الملّحة. طال وقوفها وابتلّت من رأسها حتى اخمص قدميها، فقررت ان تدخل بأية وسيلة، حتى ولو اضطرت ان تقفز من احدى النوافذ المخلّعة. لكنها اكتشفت ان الباب لم يكن مقفلاً. دفعته امامها ودخلت، واذا بكلب حجمه مخيف يبرز أنيابه الحادّة.

وتأهب لينقضّ عليها فاحسّت برجفة وشعرت ان الدم تجمّد في عروقها.

ولكن قبل ان يهجم الحيوان الشرس علا صوت من الداخل:

ـ اهدأ يا راف! اهدأ!

وعلمت ان هذا اسم الكلب لذلك مدّت يدها الى رأسه وحاولت ان تهمس:

ـ مرحباً يا راف.

فتوقف الكلب عن النباح وراح يحرّك ذيله بسرعة ويمدّ لسانه ليلمس به يدها. فشعرت اوليفيا بشيء من الاطمئنان وهي تلاعبه وتناديه باسمه.

وبينما يدها تمسح رأسه لاحظت حول عنقه طوقاً يحمل قطعة معدنية ذات لون ذهبي حفر عليها اسم ما. فحبست أنفاسها حين اكتشفت ان القطعة لا تحمل اسماً فقط، بل حتماً يشير الى انها من الذهب الصافي. فحاولت بجهد ان تقرأ اسم صاحب الكلب وعنوانه لكن صيحة قوية منعتها من ذلك:

ـ قف مكانك يا راف! هل تسمعني؟

فانحنى راف نحو الارض وسقطت القطعة من يدي اوليفيا التي رفعت نظراتها الخائفة نحو الزائر وقد ارعبها منظره أكثر من زمجرة الكلب عندما دخلت الى الغرفة.

كان الغضب يلمع في عينيه البنّيتين القاتمتين فشعرت اوليفيا بأن الرجل يكاد ينفجر غيظاً لأن احداً تجرأ واقتحم حرمة منزله

حين صرخ بها:

ـ بحق الجحيم ماذا تريدين؟

في تلك اللحظة بدا الرجل وكأنه ما زال يوجّه كلامه الى الكلب لكن نظراته الساخطة حطّت على اوليفيا فتملّكها خوف شديد.

كان شكله يشبه شكل ناسك. بنطاله ممزق عند ركبتيه وكذلك قميصه عند كوعيه، وقد وضع يديه في جيوب بنطاله، ولاحظت ان قدميه شبه حافيتين. كان ممشوق القامة، طويل الشعر حالكه، غطت وجهه لحية سوداء، وانتصب رأسه فوق كتفين عريضتين.

ورغم نبرته القاسية بدا صوته مهذباً، لذلك قالت له اوليفيا:

ـ أنا متأسفة. اني حقاً متأسفة.

وحاولت ان تشير الى مكان سيارتها وهي تضيف:

ـ لقد تعطّلت سيارتي، فرغت من الوقود.

فأجابها الرجل:

ـ حاولي على الأقل ان تجدي عذراً مقنعاً.

فخلعت قبعتها وكشفت عن عينين أضناهما التعب، وعن شعرها الكستنائي الذي يغطي وجهها الشاحب، فلاحظ الرجل بنطالها المبلّل الملتصق برجليها وهي تقول له:

ـ هذه هي الحقيقة. لقد أوقفت السيارة على مقربة من هنا. وقطعت المسافة سيراً على الاقدام علّني أجد محطة بنزين.

توقفت عن الكلام والتفتت اليه فأرعبها منظره وهو يقول لها:

ـ يجب ان تخافي مني أيتها السيدة. انا مجرم قاتل هارب من السجن. انظري اليّ جيداً لأني ما زلت قادرا على القتل.

ثم اقترب من اوليفيا وصرخ:

ـ هيا اخرجي.

لكنها بقيت واقفة مكانها وهتفت قائلة.

ـ اني مبتلة ومتعبة وجائعة. ارجوك يا سيدّي. . . لا أبالي ان كنت مجرماً ام لا. . . دعني على الاقل اجفّف ثيابي. أنا أكيدة ان لديك موقداً فلقد رأيت دخانه. لا اريد الا القليل من الماء وبعض الطعام.

ـ اسمعي ايتها السيدة. اني مصاب بداء الطاعون ومرضي معدٍ، وكل ما المسه يصاب بالعدوى. والآن الا ترغبين بالخروج بعد ان عرفت حقيقتي؟

أمام عبارته تلك خاطبت اوليفيا نفسها قائلة:

ـ يا الهي. انه حقاً مريض. وهو وحيد بحاجة الى من يعتني به.

فقال لها وكأنه أدرك ما يجول بخاطرها:

ـ اخرجي! هيا اخرجي! ماذا علي ان افعل لإقناعك باني رجل خطير؟

لم تخف من نبراته، لكن لم يكن بوسعها اقناعه ببقائها. همّت بالخروج فلحق بها الكلب وكأنه يرافقها في نزهة لكنها أغلقت

الباب في وجهه وخرجت.

ماذا تراها تفعل؟

هل تكمل سيرها لتضيع في العتمة ام تعود أدراجها لتعرّض نفسها لمرض الطاعون؟

وبينما هي تسير حائرة سمعت نباح الكلب وراءها. فالتفتت، فرأته يدعوها للعودة. كان الكلب يلتفت وراءه من حين الى آخر ليتأكد من أنها تلحق به.

عندما وصلا الى باب المزرعة بدا لها ان الرجل هو الذي فتحه بعد ان انتصر عليه كلبه، فدخلت الى الغرفة الباردة.

كان سقفها عالياً جداً وجدرانها رطبة داكنة اللون. وقد امتدت في أرضها قطعة بساط ممزقة وفوقها في وسط الغرفة طاولة من خشب وراءها كرسي شبه محطّم.

فجأة خيّم هدوء كامل على المكان فتساءلت الصبية المبللة عن سبب اختفاء الكلب وصاحبه. وقامت تبحث عن موقد نار لتجفيف ثيابها فشاهدت الحيوان الضخم قابعاً امام باب غرفتها يتربصّ بكل حركة تقوم بها. فنادته بصوت خافت:

ـ راف! قل لي أين أجده. انه بحاجة الى مساعدة. انه يحتضر. اذا مات يا راف...

توقفت قليلاً ثم تابعت:

ـ ان حياة الانسان غالية خصوصاً اذا...

توقفت ثانية وتساءلت ماذا عساها ان تقول؟ من يكون بالنسبة لها؟ انه ليس سوى غريب خاطبها بلهجة قاسية. لكنها

تابعت رغم ذلك قائلة:

ـ ان مات يا راف فسوف تبقى وحيداً ولن يعتني بك أحد...

وبينما هي تخاطب الكلب سمعت صوت الرجل ينادي:

ـ راف! تعال الى هنا وإيّاك ان ترجع الى هذه العدوّة...!

تعجبت اوليفيا وتساءلت كيف يمكن ان تكون عدوة وهي لا تعرف شيئاً عن الرجل؟ ثم اقتربت من باب الغرفة التي جاء منها الصوت وقالت:

ـ ارجوك يا سيدّ ان تدلّني على مكان الموقد فثيابي ما زالت مبتلّة.

وانتظرت الجواب لكن صمتاً رهيباً ملأ المكان حتى خيّل لها ان الرجل لم يسمعها. فتقدمت خطوتين الى الداخل فرأته ممدّدا على السرير.

عندما أبصرها قال لها بلا مبالاة:

ـ تستطيعين ان تمضي الليلة هنا، لكن عليك ان ترحلي عند الصباح.

أجابت:

ـ هذا كل ما أريد. ان اجفف ثيابي وان آكل شيئاً. سوف أدفع لك الثمن الذى تطلبه. اذ تبدو بحاجة الى المال لتشتري لنفسك...

التفتت من حولها لتتأكد من كثرة الاشياء التي يحتاجها وتابعت:

- لتشتري لنفسك أشياء كثيرة.

فأجابها الرجل:

- أفهم من كلامك انك تملكين الكثير من النقود وتريدين ان توزعيها على الفقراء... مثلي.

تمهّلت قبل ان تجيبه. فهي تملك مبلغاً لا بأس به من المال اوصت لها به خالتها عند وفاتها، لكنها رغم بلوغها السادسة والعشرين لم تفكر يوماً بتبذير مالها. وكان مجرد التفكير بالثروة التي هبطت عليها أمراً يزعجها ويعكّر صفو مزاجها. وبسبب هذه الثروة تركت المنزل الذي ورثته عن خالتها والذي عاشت فيه احدى عشرة سنة بعد وفاة والدتها. وقرّرت ان تقوم برحلة الى شمال شرقي انكلترا بعد ان اصبحت حرّة طليقة ومسؤولة عن مصيرها.

ورغم البرد القارس ورغم الصعوبات التي اعترضتها شعرت بأن شيئاً يدفعها لتنفيذ قرارها.

هل كتب لها القدر ان تدخل الى هذه المزرعة المهجورة وان تلتقي بهذا الرجل؟ وأية قوة غريبة قادتها الى هذا المكان؟

كانت تفكر بكل هذه الأمور بينما الرجل يتأمل وجهها وينتظر جوابها. وبعد تفكير قالت له:

- ما الذي يجعلك تعتقد بأني أملك ثروة؟

فأطبق جفنيه وقال:

- من يعلم؟

عندما اغمض عينيه خافت اوليفيا ان يستسلم للرقاد قبل ان

يدفّئا على الموقد. فهتفت:

- يا سيد... علي ان أجد لك اسماً اناديك به.

- لماذا؟ على أي حال لن تمضي هنا اكثر من ليلة واحدة وعلي الآن ان أجد لك غرفة تنامين فيها.

فعادت اوليفيا تسأله:

- بربّك قل لي اين أجد النار؟

فأجابها:

- في الموقد طبعاً.

وحين اكتشفت ان لا وجود لموقد الا في غرفته، خلعت سترتها وبحثت عن كرسي تلقيها عليه، فرأت كدسة من الكتب رمت السترة عليها. ثم أخذت تخلع الثياب المبتلّة كلها حتى كادت تتعرّى والتفتت الى الرجل قائلة:

- أرجوك يا سيد.

- ديلاني، ماك ديلاني.

- أرجوك يا سيد ديلاني ان تعطيني ثياباً جافة ريثما تجفّ هذه.

بعد تردّد نهض عن السرير وجاءها ببعض الثياب من خزانة الغرفة المقابلة وسألها:

- بحق الجحيم، ما الذي تفعلينه في هذه المناطق وفي مثل هذا الطقس؟ هل ارسلتك احدى المجلات لتفتحي ملفاً قديماً؟

سألته بدهشة:

- هل تعني اني مراسلة صحافية؟

- حسناً. قولي لي الحقيقة!

- أنا صادقة. واذا أردت ان تعرف حقيقة أمري فأنا في عطلة لبضعة أسابيع.

- في عطلة؟ ولكن ما هي مهنتك؟

اجابت بهدوء:

- لا أمارس أية مهنة.

- إذن لماذا لا تبحثين عن عمل عوضاً عن التجوال في المناطق النائية، تطرقين أبواب غرباء تجهلينهم؟

- لست بحاجة الى عمل في الوقت الحاضر. هذا كل ما عندي لأقوله.

وتوقف الحوار عند هذا الحد، وراحت اوليفيا تنظر الى الخزانة المليئة بالثياب. فقال لها الرجل:

- انها ثياب مسروقة.

تناولت قميصاً ازرق اللون، وطلبت منه ان يغمض عينيه ريثما ترتديه:

- ارجوك اغمض عينيك يا سيد ديلاني. وكفّ عن التحديق بي. اي نوع من الرجال أنت؟

- سبق ان أجبتك عن هذا السؤال يا سيدة. اني مجرم وقاتل.

- لا أصدق ما تقوله.

- هل تريدين اثباتاً على ذلك؟

انتاب اوليفيا شعور بالخوف وقالت:

- ارجوك ان تدعني وشأني. لم أقصد اطلاقاً ان أزعج

خلوتك.

لكنه ظل يحدّق بها وفي عينيه بريق من الحقد والضعف في الوقت نفسه.

غداً سوف ترحل وتتركه مع عزلته ولن تزعجه ابداً

٢ - الخيبة

لم تكن قادرة ان تخلع بنطالها المبلل بينما عينا الرجل تحدقان بها، لذلك اخذت بنطالاً له وخرجت لترتديه في الغرفة المجاورة. فسمعته ينادي كلبه ضاحكاً:

- راف! عد يا راف، ابق هنا!

لحظات، ثم عادت الى غرفة ديلاني الذي كان واقفاً امام النار يحدق بألسنتها الراقصة وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة حين رأى اوليفيا وهي تلبس بنطاله الواسع. فقالت هذه الأخيرة:

- اني آسفة لازعاجك مرة اخرى. واعلم انك قد لا تملك زناراً لكني اريد شيئاً من هذا القبيل احزم به البنطال، لكي لا ينزلق عن خصري.

جلس على جانب السرير وقال:

- ولماذا؟

اجابت بنرفزة:

- اريد اي شيء، ارجوك! الديك خيط او حبل رفيع مثلاً؟

- قد تجدين خيطاً في المطبخ كما قد تجدين فيه مسدسات وخناجر. لكن اياك ان تصوبيها الي.

- انت مجرم يا سيد ديلاني بقدر ما انا مجرمة.

في احدى زوايا الغرفة، رأت اوليفيا تلك اللحظة حشرة صغيرة فقامت وداستها بقدمها. فقال الرجل:

- هذا برهان على وجهة نظري. انت ايضاً قاتلة لكن ضحاياك تختلف عن ضحاياي.

ثم اقترب منها ووضع ذراعه حول عنقها، لم يكن امامها اي خيار سوى ان تحدق بعينيه وتهمس:

- انك تؤلمني يا سيد ديلاني.

لكنها تأكدت انها مهما كانت نواياه فلم يكن بوسعها ان تتخلص منه وتهرب. احست انها سوف يغمى عليها فأحنت رأسها الى الوراء وتملصت من بين يديه لتسقط فوق السرير وهي تتمتم:

- اعتذر، ليس من عادتي ان يغمى علي.

ظلت على السرير الى ان فارقها الغثيان. وعادت لتفتح عينيها فرأت ديلاني واقفاً امام الموقد وقد انتابه سعال شديد. فهرعت اليه وامسكت بيده وقادته الى السرير وقالت:

- يا سيد ديلاني، ان السرير هو المكان الوحيد الذي يجب ان

تكون فيه. لا بل من المفروض ان تكون في المستشفى او على الأقل يجب ان يعتني احد بك

نظر اليها وقال:

- هل افهم انك تقدمين نفسك للعناية بي؟ ان كان هذا حقاً ما تنوين، فاني اؤكد لك اني لا املك شيئاً. فبالله عليك اخبريني، من هي المرأة التي تقوم بأي عمل كان من دون مقابل؟

من خلال عبارته تلك بدأت الحقيقة تتضح في ذهن اوليفيا. واعتقدت بأن ديلاني يكره النساء. لأن ثمة امرأة في ماضيه سببت له ألماً كبيراً، جعله يحمل كل هذا الحقد في قلبه. فقالت في نفسها لا بد ان شخصية ديلاني كانت مختلفة، في السابق، عما هي عليه اليوم.

القت نظرة خاطفة على الكلب الرابض بجانبها، وراحت تداعبه قائلة:

- انا جائعة يا راف! هلا ارشدتني الى مكان الطعام؟

وفيما هي تتحدث اليه التفتت الى ديلاني الذي قال لها:

- بما انك سألت الكلب عن مكان وجود الطعام فدعيه يجيبك يا آنسة...

اجابت اوليفيا وقد ازعجها كلامه:

- اوليفيا بارنز! شكراً على النصيحة. وبما انني اعتبر ان درجة ذكاء الكلب تفوق درجة ذكاء صاحبه فسوف اذهب حيثما يرشدني.

- سوف تندمين يا آنسة بارنز على قولك هذا طيلة حياتك.

- انا مسرورة لأني سأعيش حياتي يا سيد ديلاني.

- لكني لم احدد لك كم من الوقت سوف تعيشين يا آنسة بارنز.

لم تجبه على تهديده الكاذب وقامت لتتوجه الى المطبخ فأكمل بنبرة غاضبة:

- اني احذرك يا آنسة بارنز، لن يعجبك مطبخي على الاطلاق.

لم يكن ديلاني مخطئاً بشأن مطبخه.

كانت رائحة كريهة تملأ ارجاءه وبدت معظم ادواته... الصحون والملاعق والأكواب قديمة وقذرة رغم ان الغرفة واسعة كأنها صممت لعائلة كبيرة.

وبينما كانت اوليفيا تجول بنظرها في ارجاء المطبخ احست بأن احداً يحدق بها. فالتفتت بسرعة الى جهة الباب ورأت ماك ديلاني واقفاً امامه وهو يقول:

- الطعام يا آنسة بارنز هو ما تبحثين عنه الآن، اليس كذلك؟

- اجل يا سيد ديلاني. الا قلت لي من فضلك، اين اجده؟

- اسألي الكلب، طالما انه يفوقني ذكاء!

لم ترد وقامت تبحث بنفسها عن اي شيء يسد جوعها. فوجدت اصنافاً عديدة من المعلبات وكمية كبيرة من الخبز. فأدهشها الأمر للوهلة الأولى وسألته:

- من اين جئت بكل هذا طالما ان مظهرك وتصرفاتك تدل على فقر حالك؟

- الم اقل لك يا آنسة بارنز انني مجرم؟ لقد سرقت هذا الطعام لأروي غليلي واشبع شهيتي.

ومن جديد مد ذراعه واحاط خصر اوليفيا وجذبها اليه حتى التصق جسمها بجسمه، فباتت لا تستطيع ان تتنفس بسهولة.

رفعت اليه عينين متوقدتين فأصابت بنظرها انفه المستقيم وشفتيه،

لكن ديلاني ما لبث ان نزع يده عنها فأطبقت جفنيها وسمعته يقول:

ـ يجب ان تخافي مني يا سيدة بارتز. انا استطيع بيد واحدة ان انزع الحياة من جسمك. ولن يدري بك احد ولن يسمع صيحاتك او يأتي لنجدتك اي انسان.

لكن اوليفيا لم تكن تسمع تهديداته. وتذكرت حين خرج من المطبخ ان خفقات قلبه كانت متسارعة كخفقات قلبها، فلحقت به الى غرفة النوم لتسأله عله يشاركها طعامها.

حين دخلت الى الغرفة رأته ممدداً على السرير وبدا وجهه الشاحب اقرب الى الموت منه الى الحياة فسألها:

ـ ماذا تريدين ثانية؟ هل انت ممرضة تقوم بواجبها؟

ـ انا لست ممرضة ولا اقوم بأي واجب. ولكني قضيت عشر سنوات اعتني بخالتي المريضة الى ان اسلمت روحها.

ـ والآن على ما اعتقد، تريدين ان تعتني بي حتى اسلم روحي بدوري.

ـ لن تموت يا سيد ديلاني. ربما لو لم اجيء الى هذا المكان كان من الممكن ان تموت. ولكن...

لم يدعها تكمل قولها فقاطعها جازماً:

ـ غداً تتركين هذا المكان وترحلين.

ـ اطمئن يا سيد ديلاني. ما من شيء سوف يجعلني ابقى عندك. والآن قل لي ماذا تفضل ان تأكل؟

ـ لا شيء على الاطلاق. وان كنت اريد شيئاً فسوف اجلبه بنفسي.

فنظرت اوليفيا الى ذراعه اليسرى وحاولت ان تتكلم لكنه قاطعها قائلاً:

ـ لست بحاجة لمن يشفق علي. لقد صدمت سيارتي جداراً.

ـ ولكني لا افهم طريقة حياتك! لماذا؟ لماذا؟

ـ ليس من الضروري ان تفهمي اي شيء. انت مجرد عابرة سبيل. غداً ترحلين وكأن شيئاً لم يكن. اما الآن فأريدك ان تخرجي من غرفتي. لست بحاجة اليك ايتها المرأة. أتسمعينني؟ لست بحاجة الى اي مخلوق باستثناء كلبي المخلص.

خرجت اوليفيا من الغرفة وتوجهت الى المطبخ وجلست تفكر بأمر ديلاني هذا.

لا بد انه فشل في حب امرأة مما جعله يستسلم لليأس والعذاب. ولكن الا يجوز ان يكون في حياته شخص اخر يتعدى تصورها وخيالها؟

على اية حال من عساه يكون؟ اية رياح حملته وأية عواصف حطت به في هذا المكان الموحش النائي؟

اجالت اوليفيا ناظريها في الغرفة المجاورة تبحث عن حمام تغتسل فيه، وعندما وجدته خلعت ثيابها واغتسلت بالماء الساخن الذي كان يؤمنه مولد كهربائي.

خرجت من الحمام ودخلت الى غرفة النوم حيث استلقت على السرير وحاولت ان تغفو لكن البرد كان يطرد النوم من عينيها المتعبتين.

فجأة علا صوت في الخارج ايقظها من غفوتها. سمعت ديلاني ينادي كلبه:

- هيا يا راف! الى الداخل!

واقترب الصوت من غرفتها ثم شاهدت الرجل يدخل مع كلبه. فتملكها رعب شديد وبرحت مكانها عاجزة عن القيام بأية حركة. كان ديلاني يحمل في يده شيئاً لم تستطع ان تميزه. وقالت لنفسها:

- يا الهي! هل يمكن ان يكون مجرماً حقاً؟ هل يريد ان يتخلص مني؟

وحاولت ان تحبس انفاسها لكنها صرخت رغماً عنها. الا ان ديلاني اقترب من سريرها وانزل ما كان يحمله ووضعه فوق جسمها المرتجف.

كان يحمل سترة من الصوف. اراد ان يحميها بها من البرد القارس.

تنفست اوليفيا الصعداء وقالت:

- شكراً يا سيد ديلاني، انك لطيف حقاً.

لم يرد على شكرها، بل خرج من الغرفة ولحقه الكلب فاستسلمت اوليفيا للرقاد.

عندما استيقظت في الصباح الباكر، كانت حالة الطقس قد ازدادت سوءاً ولم تنس ان عليها الرحيل. لكن كيف تفعل ذلك في

مثل هذا الطقس العاصف؟

قامت من سريرها ونزلت الى المطبخ فوجدت ان ديلاني قد اشعل ناراً، بعد ان نظف الموقد وازال الرماد المتراكم فيه.

اقتربت من الطاولة فوجدت عليها ثيابها المجففة وفوقها ورقة تركها لها ديلاني وكتب عليها:

- تناولي ما تشائين من الطعام. شكراً لتنظيفك المطبخ. وداعاً.

م.د.

جمعت اوليفيا اغراضها وحملت حقيبتها وتأهبت للرحيل. كان بودها ان تودع ديلاني لكن باب غرفته المقفل ردعها عن المحاولة.

فألقت نظرة اخيرة على الكلب وخرجت بعد ان اغلقت الباب وراءها. وسارت في العاصفة وهي لا تدري الى اين تذهب، وكأنها تركت الأمر للعاصفة لكي تحملها حيثما تشاء.

على بعد ثلاثة اميال عن المزرعة شاهدت حانوتاً صغيراً الى جانبه مكتب للبريد. دخلت وطلبت مساعدة البائع بعد ان شرحت له امرها واخبرته بأمر سيارتها المعطلة.

كان البائع لطيفاً معها وطمأنها قائلاً:

- لا تخافي. سوف احضر مزارعاً يملك جراراً ينقل سيارتك الى اقرب محطة بنزين. لكن لا استطيع ذلك الآن اذ ليس هنالك اي مزارع يقبل الخروج من منزله في مثل هذه العاصفة. خصوصاً ان اقرب محطة بنزين تبعد سبعة اميال من هنا.

سألت اوليفيا بلهفة:

- وكم ستدوم العاصفة حسب اعتقادك؟

- من الممكن ان تهدأ غداً.

- قل لي من فضلك يا سيد. . . لقد لمحت مزرعة على مقربة من هنا. اتعلم من يقطن فيها؟

- كانت تسكنها عائلة تدعى اثرلاي. مات بعض من أفرادها ورحل عنها البعض الآخر. فبقيت المزرعة مهجورة الى ان جاء رجل منذ سنة تقريباً، واتخذ منها بيتاً له يلازمه ليل نهار.

- حسناً، اشكر لك اهتمامك. سأعود فور هدوء العاصفة. الى اللقاء. خرجت اوليفيا من الدكان واتجهت الى نزل صغير تطلب غرفة تقضي فيها الليلة. لكن صاحب النزل اجابها معتذراً وقال لها انه لم يعد يملك غرفاً للايجار.

شكرته، وغادرت المكان دون ان تدري ماذا ستفعل.

قررت ان ترجع الى سيارتها، وحين وصلت اليها دخلت، وادارت جهاز الراديو والدموع تنسكب على وجنتيها الشاحبتين.

لماذا تبكي؟ الم تمح صورة ديلاني من ذاكرتها؟ ولم البكاء عليه؟ فهو ليس سوى مجرم بائس.

توقفت عن البكاء وفكرت ان امامها الآن خيارين. . . فاما ان تبقى مكانها حتى الصباح واما ان تعود الى المزرعة وتطلب من ديلاني قضاء ليلة اخرى.

خرجت من سيارتها. وفيما كانت تقفل ابوابها شعرت بحركة غريبة وراءها. واذا براف يقفز وينبح ويدور حولها دون توقف.

فرحت به كثيراً وقررت ان تعود برفقته الى المزرعة.

حين وصلت اليها كان ديلاني واقفاً امام الباب. فسارعت الى

القول:

- لقد عدت يا سيد ديلاني.

فأجابها:

- اذا رفضت ان تدخلي فان كلبي سيلحق بك وابقى انا وحيداً.

فنظرت اوليفيا الى الكلب وقالت:

- علي ان ارحل يا راف. ان معلمك يريد ذلك.

واستدارت، لكن صوتاً خلفها صرخ بها:

- ادخلي يا اوليفيا.

٣ - الحمّى امرأة

انغلق الباب، وتلاقت نظرات اوليفيا بعيني ديلاني وكأنها يلتقيان للمرة الأولى، ودار حوار صامت بينهما. قطعه صوت اوليفيا قائلة :

ـ شكراً يا سيد ديلاني. شكراً لقبولك بقائي.

ثم مدت يدها نحوه، تبحث عن يد دافئة تأخذ بها وتضمها. واذا بيده اليسرى - التي اصيبت بحادث سيارة اصابة بالغة - تلتقط يدها الممدودة، وكأنها تمنعها من مغادرة المكان.

طافت نظراتها حول عينيه الحزينتين وكأنها معبد قديم هجرته الصلوات فانقلب نهاره ليلاً وليله نهاراً. وها هي اوليفيا تطل ومعها بريق حياة شحيح شاحب.

خفق قلبها فجذبها ديلاني الى جسمه النحيل الذي احتله المرض

وهمس في اذنها:

ـ اريدك ان تدفئي جسمي. دعي حرارتك تلفني، علها تبعث في الحياة من جديد. لقد فقدت اشياء كثيرة. وسلبت مني الحياة امرأة دمرت عالمي بأكمله.

تسرب كلامه الحزين الى قلبها فاغرورقت عيناها بالدموع وانسكبت على يدي ديلاني. فضمها هذا الى صدره حتى كاد يخنق انفاسها.

لكن الرحلة لم تدم طويلا فقد قطعها صوت ديلاني الساخط:

ـ يا الهي! لست بحاجة الى الشفقة!

عن اية شفقة كان يتحدث؟ ماذا يقصد؟ والى ما يهدف؟ سألت اوليفيا نفسها وهي تجيب:

ـ ولكني . . .

ثم توقفت هنيهة واكملت:

ـ ولكني اردت ان . . . اردت ان تضمني بين ذراعيك. لم يدفعني شعوري بالشفقة للعودة الى المزرعة. الحاجة كانت هي دافعي الوحيد. لم اجد مكاناً ابيت فيه. على كل، انا متأسفة.

لم يسألها عن سبب اسفها ولم يعتذر عن تصرفه الأحمق وكأنه كان يصر على ان عناقها لم يكن سوى رأفة وشفقة. تركها وسار نحو غرفته، فدخلها واغلق الباب.

عندما غاب احست اوليفيا بحزن عميق يهز كيانها وملأها فراغ كبير لم يسبق لها ان شعرت بمثله من قبل.

ارادت ان تنسى ما حدث وتخلد للنوم حتى ترحل في الصباح

الباكر عن تلك المزرعة المشؤومة.

تمالكت اعصابها ودخلت الى غرفة الموقد فوجدت النار تتأجج فيها. من تراه اشعلها غير السيد ديلاني؟

ابتسمت اوليفيا وتوجهت لتغتسل في الحمام فوجدت منشفة نظيفة بانتظارها. كان كل شيء يشير الى ان عودتها كانت مرتقبة.

بعد ان انتهت من الاغتسال، راحت تجول في المنزل. زارت الغرف الست المجاورة لغرفتها ووجدت ان باب الغرفة السادسة كان موصداً. فسألت اين المفتاح، يا ترى؟ لماذا اقفل الباب؟ ماذا يوجد داخل تلك الغرفة؟ اسئلة عديدة تبادرت الى ذهنها دون ان تجد لها جواباً.

فجأة سمعت خطوات تقترب منها فاستدارت مضطربة ورأت ماك ديلاني واقفاً وراءها.

سألها بلهجة ساخرة:

ـ عم تبحثين يا آنسة بارنز؟ بم عساك تفكرين؟ ابمحتوى الغرفة؟ هل هذا ما يشغل بالك؟ اجيبيني علني استطيع مساعدتك!

ثم التقط خصلة من شعرها شد بها اوليفيا اليه وقال:

ـ ماذا تعتقدين انه يوجد فيها غير الأسلحة التي اقتل بها وكل ما يتعلق بعمليات السلب والنهب والقتل التي اقوم بها؟ اتعلمين ماذا انوي ان افعل بك؟

ـ ولكن...!

ـ لا! لا! لن يهرع راف لنجدتك. لقد حبسته في المطبخ.

ـ لا اصدقك.

ـ وهل يعقل هذا؟ لا تعرفين عني شيئاً. بربك اخبريني ما الذي قاله السكان في القرية عني؟ الم يحذروك من الاقتراب من المزرعة؟ اجيبي!

وشد على شعرها فصرخت:

ـ آه! دعني! انك تؤلمني!

لم تستطع اوليفيا ان تحبس دموعها فاجهشت بالبكاء لكنه تابع عنفه وقال:

ـ لا يهمني انك تتألمين. انت امرأة مثل غيرك. انت كسائر النساء... يعطين ولا يعطين. وكلما قدمنا لهن، طلبن المزيد.

ـ ان ما تقوله غير صحيح...

لم يدعها تكمل كلامها. شدها اليه ثانية بطريقة انستها الألم والخوف.

ـ ماذا تظن انك فاعل؟

ـ اني آخذ منك كل ما تقدمينه. لقد عشت مدة طويلة وحيداً. وبما اني رجل فاني استفيد من وجود امرأة الى جانبي. هل لديك اي اعتراض على ذلك؟

ـ اعترف بانني لم استجب لك تماماً والسبب في ذلك يعود الى طريقتك المتوحشة.

- يا الهي! يبدو ان ليس لديك اية خبرة على الاطلاق.
- كنت اعتقد ان الرجال يتصرفون بلباقة عندما يغازلون امرأة. لكنك انت لا تريد مغازلتي.

- انت على حق.
اجابت وقد اغاظها كلامه كثيراً:
- على كل حال، لن اتزوج الا من رجل يحترم وجودي ومشاعري احتراماً لا تملكه انت!
- وما ادراك ما املك؟
قالها بصوت مرتجف وكأن حمى محرقة قد عصفت بجسمه، ثم تركها ودخل الى غرفته فلحقت به لكنه سرعان ما نفر منها وطردها صارخاً:
- لست بحاجة الى ممرضة.
- انا اتصرف هكذا مع كل من يحتاج الى عون. انت مريض ويجب ان تلزم فراشك.
- انا افعل ما اشاء. هلا خرجت من غرفتي؟!
- من غرفتك ام من المنزل؟
- اختاري بنفسك.
- حسناً. سوف افعل.
قالت اوليفيا ذلك وخرجت من غرفته. فتوجهت الى المطبخ لتعد الطعام.
لم تكن جائعة ولكنها رأت ان تعد له حساء ساخناً يتناوله ساعة

خروجه من الغرفة. لكن ساعات طويلة مرت دون ان يبارح غرفته. وحين تعبت اوليفيا من الانتظار صعدت الى غرفتها وانغمست في الفراش البارد. ولم تكد تخلد للراحة حتى احست بالكلب راف يقترب منها وكأنه يدعوها لأن تلحق به ففعلت.

سارت وراءه واذا بها امام ديلاني. كان العرق يتصبب من جسمه وحرارة جبينه مرتفعة جداً. وامام منظره المريع هذا هرولت اوليفيا الى المطبخ فجاءت منه بوعاء ماء وراحت تبحث في الخزانة عن سترة جديدة. فوجدت قميصاً من الحرير اخذته وعادت الى ديلاني. حاولت ان تخلع عنه كنزته الصوفية. ثم مسحت عرقه دون ان يستيقظ لأن نومه كان عميقاً بسبب الحمى الشديدة التي تعصف به. كان العرق يتصبب بغزارة من جبينه، لذلك قررت ان تعطيه دواء دون علمه علها تزيل عنه الحرارة. فجاءت بحقيبة يدها. اخرجت الدواء وذوبته في كوب من الماء، ثم رفع رأس ديلاني وبهدوء وخبرة، سكبت القطرات بحنان في شفتيه وجلست الى جانبه تراقب انفاسه طوال الليل فتلمس جبينه، لتعرف درجة الحرارة... ثم تعطيه المزيد من الدواء.

حين شعرت بتحسن حالته، اغمضت عينيها وحاولت ان تنام قليلاً.

عندما استفاقت، وجدت نفسها وحيدة في الغرفة. لم يكن ديلاني في السرير. راح راف يداعب قدميها. لكن معلمه زجره قائلاً:

- انزل عن السرير! هيا!

نظرت اوليفيا اليه فرأته يتأمل الوعاء وكوب الماء وعلبة الدواء، وقبل ان تقول اي شيء قال لها:

- اذن يا عزيزتي، انت ممرضة تداوي مريضها خلال الليل.

- يجب ان تلزم فراشك. ما زلت مريضاً.

- حسناً سوف افعل لكن بشرط واحد... اريدك ان تبقي معي.

- كم انت احمق! انا... ولكني...

تلعثمت وهي تتابع:

- لقد نمت الى جانبك طوال الليل لكي اعتني بك فقط. كيف اعتني بك ان كنت في غرفة اخرى؟

سألها ديلاني:

- قولي يا آنسة بارنز، لماذا تعتنين بي؟

ردت على الفور:

- لانني اكره ان ارى رجلاً يتألم.

ثم صمتت وقالت لنفسها:

- ان فيك جاذباً يشدني اليك يا سيد ديلاني. انا لا اؤمن بالحب من اول نظرة ولكني...

واذا بصوته يقطع تفكيرها ويقول:

- ربما كنت على حق!

فأكملت:

- لقد امضيت الليل كله اراقب تنفسك ودرجة حرارتك بينما انت نائم تتحدث عن...

- عما تحدثت؟ اجيبيني.

- كنت تتكلم مع امرأة. لم تكن تريدها ان تتركك.

- هل ذكرت اسمها؟

- لا. لم تفعل. لكن لا افهم كيف ما زلت تفكر بها بعد كل الذي فعلته بك.

- وماذا فعلت بي؟

- فهمت من كلامك يوم البارحة ان تلك المرأة تركتك لانك تعرضت لحادث سيارة.

اندس ديلاني في الفراش الى جانب اوليفيا التي حاولت ان تشاركه. لكنه منعها، وضمها الى صدره ثم سألها:

- اوليفيا بارنز، اتقبلين بي زوجاً لك؟

لم يكن بوسعها ان تجيبه بل اكتفت بقولها:

- ارجوك يا ماك. انك تؤلمني.

وعاد ديلاني يسألها:

- ايوجد ثمة رجل في حياتك؟

فهزت رأسها مجيبة بالنفي.

- الديك اقارب؟

- لقد ماتت والدتي منذ بضع سنين. وتزوج والدي من امرأة اخرى. من يومها لم اعد اراه الا نادراً. عشت عند خالتي المريضة وتركت المدرسة في سن السادسة عشرة لكي اعتني بها وقضيت بجانبها عشر سنوات. لكنها توفيت منذ مدة قريبة.

- ما زلت انتظر الاجابة عن سؤالي.

- كيف اتزوج منك وانا اكاد لا اعرفك؟ حتى اننا لا نحب بعضنا. ان طباعك حقاً غريبة.

اشار الى يده اليسرى وقال:

- اهذا ما يخيفك؟ ولكني استطيع ان احبك بيد واحدة.

لكنها ابعدته وقالت:

- دعني افكر على الاقل.

- ولكن يا اوليفيا اسأل نفسي ان كانت لديك اية خبرة في الحب؟

- لا ليست لدي اية خبرة، كنت تفضل امرأة ذات خبرة اليس كذلك؟ لم اعد ادري شيئاً.

قال بينما انامله تداعب شعرها وتلمس بشرتها الناعمة:

- ما الذي تجهلينه يا حبيبتي؟ صدقيني. لن تندمي على زواجك مني. لن اجعلك ابداً تندمين.

لم يكن في حياة اوليفيا رجل تحبه، باستثناء دانيال والتبغ الذي طلب يدها. كان يحبها ويحترمها. هو مختلف تماماً عن ديلاني. ولكنه لم يعد يعني لها الكثير.

في تلك اللحظة شعرت بأنامل ديلاني تدغدغها. فحاولت اوليفيا ان تغادر السرير لكنه اوقفها وسألها:

- الى اين انت ذاهبة؟

- ماذا يوجد في تلك الغرفة يا مات؟

- هذا لا يعنيك... ما زلت انتظر جوابك. اتتزوجينني؟

- فاقتربت اوليفيا منه وقالت:

- نعم سوف اتزوجك...

لم يدعها تنهي كلامها بل ضمها الى صدره كالمجنون...

٤ - زواج ومفاجأة

رغم ان المطر كان ينهمر بغزارة، اصر راف على ان يخرج من المنزل. غاب قليلاً بين الأشجار التي كانت اغصانها ترتجف من شدة البرد. ثم رجع الى المنزل فدخل الى الغرفة يقطر ماء. عندما رأت اوليفيا حالته المحزنة جلست تجفف فروته بينما وقف ديلاني يحدق في الموقد بنظرات شاردة. وحين لاحظت اوليفيا انشغال باله قالت له:

ـ اني اعلم حقيقة ما يشغل بالك. اعتقد انك تفكر في سني صباي العشر التي قضيتها الى جانب خالتي المريضة، ولم استمتع خلالها بعذوبة الحياة ومباهجها. انك تتساءل كيف استطعت ان احرم نفسي من اشياء كثيرة لكي ابقى بقرب سيدة عجوز متطلبة لتحمل مشاكلها، واعتني بها؟ لكن مرضها كان شديداً ولم يكن لديها احد

غيري. وبالاضافة الى ذلك كنت احبها حباً كبيرا.

رد ديلاني بعفوية ومسحة من السخرية تلف نبرات صوته القاسي:

ـ ربما كانت روح المساعدة عندك هي ميزة طبيعية وعفوية، اصيلة الجذور في اعماق نفسك.

وبسرعة ادركت اوليفيا قصده، فردت:

ـ ربما.

ثم رمقته بنظرات حنونة قبل ان تدنو لتجلس بالقرب منه...

ـ ان قلبك يشبه قلب طفل صغير. هل تعلمين ذلك؟

ابتسمت واجابت:

ـ ليس قلبي وحده ما يجعلني اشبه بالاطفال.

ادرك قصدها فضحك وقال:

ـ لا تخافي من هذه الناحية! فسوف اتجاهل الأمر حين يحين الوقت المناسب. فالتقت نظراتها وضحكا. ثم قاما عن المقعد واتجها معاً الى المطبخ حيث تناولا طعام الغداء.

ذاك النهار التهم ماك طعامه بشهية كبيرة. وما ان انتهى من الأكل حتى استأذن اوليفيا قائلاً:

ـ سوف اصعد الى غرفتي لأنام قليلاً بعد الغداء. ارجوك ان توقظيني قبل موعد طعام العشاء.

كانت تفضل ان يبقى الى جانبها لكنها فهمت حاجته الى الراحة واجابت:

- حسناً! الى اللقاء.

تركته يصعد درجات السلم وبقيت وحيدة تنظف المطبخ وتعيد ترتيب محتوياته. لم تشعر بالوقت يمر بسرعة وهي تعمل بكد وتعب. وحين شارفت الشمس على المغيب واضمحل النور في المطبخ، كانت قد انتهت من العمل فاسرعت الى الحمام لتغتسل قبل ان ترتدي ثوب النوم.

كان التعب والارهاق قد اضنيا جسمها النحيل فتمنت ان تخلد للنوم. لكنها قبل ذلك فضلت ان تعد طعام العشاء وان توقظ ديلاني فور خروجها من الحمام. وما ان خرجت منه حتى فوجئت به ينتظرها عند اسفل الدرج، فقالت والدهشة تملأ عينيها:

- تبدو الآن بحالة جيدة!

فابتسم واجاب:

- شكراً. ان الفضل يرجع الى ممرضتي النشيطة.

تقدمت منه قليلاً وهي تتوقع ان يقبلها لكنه لم يفعل بل تابع كلامه قائلاً:

- اعتقد انك تودين مشاطرة فراشي اليس كذلك؟ على كل ليس لدي اي مانع. على العكس انني ارحب بك بكل طيبة خاطر. واعدك بان احتفظ بيدي، اعني بيدي لنفسي. لن ازعجك ابداً فيما لو شاركتني سريري.

توقف عن الكلام لحظة ثم اكمل:

- اؤكد لك انك لن تزعجيني ابداً.

لم تبخل اوليفيا عليه ببسمة ساحرة توازي نبرات صوته المتهكمة

ثم اجابت:

- اني اشكر لك ترحيبك الحار بي، ولكني في الواقع افضل ان انام في الغرفة المجاورة.

حاول ماك ان يقنعها بشتى الوسائل لكن دعوته لم تلق غير الرفض القاطع، فسألها:

- الا تثقين بي؟ انسيت اننا على وشك الزواج؟

لكن اوليفيا اكتفت بالصمت وادارت له ظهرها ثم توجهت نحو غرفتها.

كان المساء عادياً، تهزه الامطار وتمزق العواصف اغصان الشجر. وانعكس الجو العاصف على سهرتهما فأوى كل منهما الى فراشه باكراً.

سرعان ما ارتمت اوليفيا في احضان الليل بينما ظل ديلاني ساهراً في سريره فأمسى وكأن الغيرة قد دبت فيه وبات يحسد الليل الذي يلف حبيبته.

حاول مرات عديدة ان يذهب اليها ويطرد الليل من فراشها لكنه بعد تردد وصراع تغلب عليه النعاس فغفا عند منتصف الليل.

طلع الصباح رويداً رويداً وكأنه يخاف ان يطل مرة واحدة، وفرش ثوبه المبلل بالندى على الأرض الغارقة في النوم. وما ان لمست القطرات الرطبة وجه الأرض حتى افاقت الطبيعة وصحا النهار وغردت الطيور فاستيقظت اوليفيا وتبعها ماك.

قصد كل منهما المطبخ وكأنهما تواعدا بالأمس على ان يلتقيا هناك.

فاقترب ماك من اوليفيا حاملاً علبة مخملية صغيرة، وحين كاد يلامس جسمها توقف وفتح العلبة ثم اخرج منها خاتماً وقدمه لها

قائلاً:

ـ لم اشتر هذا الخاتم لك بل كنت اشتريته لامرأة اخرى، ارجو ان ينال اعجابك. جربيه! هل يلائم اصبعك؟

وبعد ان لبسته سألها:

ـ هل اعجبك يا حبيبتي؟

ترددت اوليفيا بعض الشيء، ولكنها ردت بصدق:

ـ اني بكل صراحة افضل ان يكون خاتماً بسيطاً، فالخاتم الذهبي لا يعني لي الشيء الكثير.

اعجبه صدقها ولفتت بساطتها نظره فقال مبتسماً:

ـ حسناً يا شريكتي. اني اوافق ذوقك الرفيع.

وبعد ان صمت قليلاً اكمل كلامه:

ـ بالمناسبة لقد صممت على الخروج. سوف اركب اليوم القطار فهو يمر من هنا كل ثلاثة ايام تقريباً. اريد ان اذهب الى المدينة. علي القيام ببعض الأعمال. لن اتأخر.

كان بودها ان ترافقه الى المدينة لكنها سرعان ما ادركت انه يفضل ان يذهب بمفرده فقالت له:

ـ حسناً يا حبيبي. اتمنى لك رحلة موفقة. لكني ارجوك ان لا تتأخر، فأنا بانتظارك. التفت الى كلبه قائلاً:

ـ راف! ارجو ان تقوم بواجبك على اتم وجه. اياك ان تعصى اوامر السيدة! مفهوم؟! فنبح الكلب وكأنه فهم اوامر معلمه ولحق به الى الخارج.

ذهب ديلاني وبقيت اوليفيا وحيدة في ذلك البيت المهجور.

وللمرة الأولى بدا لها البيت خالياً وكأن الموت اجتاح ارجاءه. واحست بالفراغ عندما اشتد البرد. فمكثت حزينة في غرفتها الموحشة تنتظر عودة حبيبها. كانت قلقة، لذلك راحت تلوم نفسها لأنها لم تسأله عن ساعة رجوعه. احست وكأن الوقت يريد ان ينتقم من شوقها، فتوقف عن السير، وتوقفت معه الثواني والدقائق.

لم تكن تعرف من قبل هذا الحب الذي يختلج الآن في داخلها، وكأن الحب لا يعرف عمقه الا ساعة الفراق.

الفراق! يا الهي!

ماذا تفعل اذا لم يرجع اليها؟

اهو حقاً ذاهب الى المدينة؟ ام انه اختلق عذراً ليتخلص من وجودها؟ وتركها ضحية العاصفة والقلق والشوق والخوف؟ ارادت اوليفيا ان تهرب من تلك الاسئلة السوداء فأسرعت الى جهاز الراديو وادارته علها تسمع بعض الموسيقى التي تنسيها وحدتها وتؤنس وحشتها وتشغلها عن التفكير بالرجل الغائب.

وخطفتها الموسيقى لدرجة انها لم تسمع صرير الباب وهو ينفتح ولم تنتبه لدعسات ماك وهو يقترب منها ويقول:

ـ مرحباً.

فارتعبت لأنها فوجئت بعودته وكأنها كانت واثقة من انه لن يعود فقالت:

ـ هذا انت؟ لقد اخفتني!؟

ثم نظرت الى ساعة يدها وقالت:

ـ لقد تأخرت كثيراً يا ماك. كنت خائفة من . . .

ولكنها لم تفصح عن مشاعرها فسكتت وكأن حنجرتها حبست الكلمات التي ماتت قبل ان تولد.

فاقترب ماك منها وسألها:

ـ وممَ الخوف يا عزيزتي؟

لم تجد ما تقوله ثم خطرت ببالها حالته الصحية فقالت:

ـ ان صحتك لم تكن جيدة هذا الصباح. ثم كنت اخشى من ان تسبب لك ذراعك اليسرى مشكلة.

لقد اثرت فيه هذه الحجة لا سيما ان الكلام عن يده اليسرى يزعجه كثيراً ويثير في داخله ثورة غضب واشمئزاز. فصرخ فجأة:

ـ اللعنة عليها! لتذهب يدي اليسرى الى الجحيم! تباً لك ولها! اطفئي جهاز الراديو على الفور!

لم تفهم اوليفيا سبب غضبه المفاجئ، فأجابت:

ـ ولكني استمع الى الموسيقى الكلاسيكية، الا تحبها؟ كنت دائماً اسهر بالقرب من خالتي المريضة وانا استمع الى الموسيقى الكلاسيكية التي كان يعزفها عازف شهير لا اظنه بغريب عنك.

ثم نظرت اليه وقد فاجأها منظره فبدا شكله مختلفاً بعد ان قص شعره وحلق لحيته. ورغم دهشتها لصورته الجديدة اكملت قائلة:

ـ لا اعتقد انك تجهل عمن اتكلم. اسمع! اسمع كم هو ماهر في العزف. انه الموسيقار المفضل لدي. اظنك سمعته يعزف مراراً عديدة في حفلات مختلفة وكثيرة واسمه كوتال. لقد علقت صورته على جدار غرفتي.

وتطلعت اوليفيا الى وجهه فرأت شرارة في عينيه وسألته متعجبة:

ـ لمَ انت غاضب؟ هل انت زوج غيور؟

فأدار ديلاني ظهره وخرج من الغرفة دون ان يجيب على سؤالها. عندها نظرت اوليفيا الى راف وقالت بصوت كئيب:

ـ كنت انتظره بلهفة وشوق طوال النهار وها هو يعود حاملاً معه الغضب. وبدل ان نتعانق تشاجرنا وتخاصمنا. اتراه يحبني يا راف؟ اهو حقاً يغار علي؟ ام انه...

ثم اجهشت بالبكاء. ووسط تقطر الدموع راحت تطرح على نفسها اسئلة واسئلة... لماذا لم يحيني بحنان ساعة دخل؟ لماذا لم يقبلني؟ لماذا قضى طوال النهار وحيداً في غرفته؟ ثم لماذا قصد المدينة؟

جاء المساء ولكنه لم يحمل معه الأجوبة التي كانت تشغل بال اوليفيا. وحين التقت به، رأته انه عاد ليرتدي سترته الرثة القديمة التي كان يلبسها يوم لقائهما الأول فقالت له:

ـ لماذا ترتدي هذه السترة الممزقة ولديك الكثير من الثياب الجديدة؟ اخلعها عنك وهاتها لأخيطها لك.

فنظر اليها والغضب لا يزال في عينيه وقال:

ـ الشفقة والرأفة، مرة اخرى! لقد سبق ان قلت لك انني اكره الاشفاق وارفض رفضاً قاطعاً ان يرأف احد بي حتى ولو كان انت.

عبثاً حاولت ان تقنعه بحقيقة شعورها الكبير وقوة حبها. لكنه اصر على انها لا تكن له غير الشفقة. فقالت له بعد ان تعبت من اقناعه:

ـ لا! انك حقاً حاقد قاس. ان خالتي رغم ثرائها كانت توفر مالها

دون ان تشتري ثياباً جديدة. لذا كنت اخيط لها الثياب بنفسي. فكما ترى لقد اعتدت على ذلك. ولم اكن افعل اي شيء لها بدافع من الشفقة.

لم يشأ ماك ان يزيد من حدة المناقشة وقد ادرك انه هو الذي بالغ منذ البداية وان اوليفيا ربما كانت على حق. فقاطعها واقترب منها ثم اخذ بيدها وقال:

ـ لقد تذكرت الآن اننا سوف نتزوج غداً.

وتابع كلامه دون ان يدعها تبدي اي رأي:

ـ ذهبت الى المدينة من اجل هذا الغرض. سوف يكون زواجنا زواجاً مدنياً اعني ستحل دائرة سجل النفوس مكان الكنيسة. اتمنى ان لا يكون لديك اي اعتراض على ذلك، وان لا يشكل ذلك حجر عثرة لزواجنا.

فأجابت اوليفيا بشيء من اللامبالاة:

ـ لا، ليس عندي اي اعتراض على ذلك.

عندها اضاف ديلاني قائلاً:

ـ لقد حجزت سيارة لتنقلنا الى هناك في الساعة الحادية عشرة.

ثم خطا خطوة نحوها وقال:

ـ لقد اشتريت خاتماً جديداً. ارجو ان ينال اعجابك.

لكن اوليفيا تجاهلت امر الخاتم وسألته:

ـ ماذا بشأن الشهود؟ اليس لديك اقارب يا ماك؟

فطمأنها ماك قائلاً:

ـ لا تخافي... سوف تجد شاهدين. اما فيما يتعلق بالأقارب فقد

توفي والدي منذ زمن بعيد وكان من اصل ايرلندي. وبعد موته غادرت امي البلاد ورحلت الى اوستراليا. سافرت اليها لتزور بعض الاقارب.

ثم حدق في عينيها وقال بلهجة ساخرة:

ـ اننا نشبه بعضنا كثيراً من هذه الناحية. فكلانا بلا عمل وبلا اقارب.

لم تبتسم اوليفيا وفكرت بالاشياء الكثيرة التي تجهلها عن عريسها كما انه بدوره كان يجهل الكثير عن حياتها. فهي لم تذكر له الثروة الكبيرة التي ورثتها عن خالتها ولم تحدثه عن البيت الكبير عند الساحل الجنوبي. وسبب ذلك ان ماك لم يسألها يوماً عن حياتها ولم يهتم بهذه الناحية. والآن لم تعد تجرؤ على ان تخبره بكل ذلك بعد ان سمعته يتكلم عن حياتهما المتشابهتين وبأنهما عاطلان عن العمل. ولكنها تلك اللحظة تذكرت قمصان الحرير المعلقة في خزانته. وتساءلت...

كيف اشتراها؟ من اين له المال؟

فقطع ماك شرودها وسألها:

ـ ماذا سترتدين غداً؟ هل عندك ثياب ملائمة؟

انتظرت دقائق قبل ان تجيبه:

ـ طبعاً! لا تنس اني كنت اقوم برحلة عطلة طويلة ومعي حقائب مليئة بالثياب وبما قد احتاج اليه. وماذا سترتدي انت غداً؟ ليس عندي اي مانع فيما لو ارتديت بنطال الجينز.

فضحك ديلاني من سخريتها وقال:

- ايتها الكاذبة! لا اظنك تقبلين ان ارتدي هذه الثياب يوم زفافنا!

فتلاقت ضحكتهما ودخل كل واحد منهما الى غرفته ليرتب اغراضه استعداداً لاستقبال يوم الغد الذي قد يكون من احلى ايام الحياة. بل ربما كان اجمل يوم في الحياة.

في المساء تلاقى الحبيبان وتناولا طعام العشاء. حاولت اوليفيا عدة مرات ان تتكلم ولكنها ترددت وآثرت الصمت. فسألها ديلاني:

- ما بالك صامتة؟ في عينيك كلام نائم لا تنطقين به؟ ماذا يدور في ذهنك يا اوليفيا؟

- ماك! هل تعتقد حقاً اننا نقوم بعمل عاقل ونسير على الطريق الصحيح؟

لم يجبها واكتفى بأن طبع قبلة حارة على شعرها. لكن اوليفيا اصرت على سؤالها فعادت وقالت:

- هل تعتقد ان ما نقوم به هو عين الصواب؟

تطلع ماك الى عينيها واكتفى بالصمت مرة اخرى وكأنه يقر بأن قرارهما صحيح. فشعرت اوليفيا بشيء من الحزن لكنها كبحت عواطفها.

بعد العشاء عاد كل منهما الى غرفته ينتظر طلوع نهار الغد بشوق وبفارغ الصبر. لكنهما عبثاً حاولا النوم. وعندما عجز ديلاني عن الرقاد نهض من فراشه وقصد غرفة اوليفيا. فقالت له متعجبة:

- ماك هذا انت؟ انا، انا. .

لكنه لم يدعها تكمل كلامها بل قاطعها قائلاً:

- جئت اقول لك اني ملأت خزان سيارتك بالوقود. انت حرة

الآن تستطيعين ان ترحلي اذا شئت.

ولكنها اعترضت على كلامه وردت بنبرة جازمة:

- لكنني لا اريد ان ارحل عنك يا ماك. اريد ان ابقى الى جانبك مدى الحياة.

ثم دنت منه ورمقته بنظرة مشحونة بالحنان والشوق تتوسل اليه ان يضمها الى صدره. لكنه اكتفى بأن طبع قبلة على جبينها وقال:

- حسناً! والآن اتمنى لك احلاماً سعيدة.

وخرج.

عن اية احلام كان يتكلم؟ فهذه الليلة تختلف تماماً عن كل ليالي حياتها. انها حلم حياتها. وراحت، وهي عاجزة عن النوم، تنتظر الفجر. . . وتنتظر الحب يضمها الى الأبد.

وطلع النور واطل الفجر يحمل معه نهاراً جديداً. واقتربت الساعة المنتظرة فهيأت اوليفيا نفسها وارتدت فستاناً ابيض. وما لبث ماك ان وافاها الى الشرفة فنظر كل منهما الى الآخر مبتسماً بسمة حياء وحب.

وحين وصلت السيارة المستأجرة وتوقفت امام مدخل المزرعة خرج الاثنان من البيت وجلسا في المقعد الخلفي فتوجه بهما السائق الى دائرة سجل النفوس.

فور وصولهما، تقدم منهما شاب وسيم وقال:

- اسمي بيتر ايفنس يشرفني ان اكون احد الشاهدين على زواجكما.

واضاف:

- هذا طبعاً اذا كنتما بحاجة الى شاهد.

فابتسمت اوليفيا بينما راح ديلاني ينظر متعجباً الى الشاب الغريب ثم قال له:

- نحن بحاجة الى شاهدين. ونرحب بك كشاهد على زواجنا.

دخل الثلاثة الى المكتب حيث تجري المعاملات الرسمية. فوجدا شاهداً آخر وبدأت مراسيم الزفاف.

شعرت اوليفيا وكأنها في حلم جميل لكن حركة ماك المفاجئة اعادتها الى عالم اليقظة. فحدقت في عينيه وقبلته بنظرة حنان بينما القاضي يسأل ديلاني... لكنهما لم يسمعا الا الشطر الثاني من السؤال القائل:

... هل تريد اوليفيا سارة بارنز زوجة لك؟

لم يدعه ماك يكمل السؤال فرد بحماس:

- انا ماكير كونال ديلاني اقبل اوليفيا بارنز زوجة لي.

وحين سئلت اوليفيا بدورها، اجابت:

- انا اوليفيا سارة بارنز اقبل ماكير كونال ديلاني زوجاً لي.

وسمعت اوليفيا نفسها تردد اسماً تعرفه حق المعرفة. لم يكن بغريب عنها ابداً. ماكير كونال ديلاني. يا الهي! ماكير كونال ديلاني!

لم تعد قادرة ان تقف على قدميها وتمنت ان تنتهي حفلة الزفاف باسرع وقت ممكن... لكن ايفنس استوقفهما ليأخذ لهما الصور التذكارية. وقال:

- فور حصولي على هذه الصور سوف ابعث بها اليكما. ارجو ان تعطوني العنوان المناسب.

وبعد ان حصل على عنوان المزرعة ودعهما وتمنى لهما زواجاً سعيداً وشهر عسل جميلا وسعيداً و...

ثم توجه العريسان الى مطعم انيق حيث تناولا طعام الغداء. وعندما دخلا الى المكان دهشت العروس وقالت لزوجها:

- ولكن يا ماك ان الطعام في هذا المطعم غال جداً. هل لدينا ما يكفي من المال؟ ثم اني، اني...

فقال ماك عندها:

- اعرف ما تودين قوله. واعتقد انك اصبحت تعرفين هويتي وشخصيتي الحقيقية. نعم انا ماكير كونال ديلاني عازف البيانو الشهير او الموسيقار المفضل لديك والذي علقت صورته على جدار غرفتك. وكما تعلمين انا رجل ثري وبامكاني ان اشتري المطعم بأكمله لو اردت. تعلمين كذلك انه لم يبق لي سوى الاسطوانات والمال.

لم تعلق اوليفيا على كلام زوجها واكتفت بقولها:

- لا تنس يا ماك بانني انا ايضاً لك الى جانب اسطواناتك ومالك.

فأخذ ماك بيد اوليفيا وقبلها. ثم شربا نخب المستقبل السعيد.

وفي نهاية الغداء قدم ديلاني الى زوجته خاتماً من الماس والذهب عربون محبة مخلصة وصادقة. فسألته اوليفيا:

- لماذا توقفت عن العزف على البيانو؟ اعلم ان يدك اليسرى اصيبت بحادث سيارة ولكن بوسعك ان تعالجها على ما اعتقد. فالجمهور يتشوق لسماعك من جديد.

اجابها ديلاني:

- اعتذر لما سأقوله. ولكني يا عزيزتي لا اعزف من اجل ارضاء

الجمهور بل اعزف لاعبر عما يختلج في اعماق نفسي.

لم تصر اوليفيا على موضوع العزف بل حاولت ان تبدل وجه الحوار وقالت:

ـ حين افكر بما اخبرتني عن جرائمك ... اضحك.

فسألها ماك:

ـ ولكن الم اخفك في البداية حين اخبرتك ذلك؟ ولماذا بقيت في المزرعة؟

لم تكن بحاجة الى الاجابة. فهو يعلم سبب بقائها بقربه والا ما كانت الآن الى جانبه وما كان ليطرح عليها هذا السؤال.

فتنهدت وقالت:

ـ اني مرهقة واود لو نذهب الآن الى البيت.

فوافقها ماك لكنه وضع شرطاً لذهابه اذ قال:

ـ لكني احذرك من الآن. اعلمي انك سوف تمضين لياليك في غرفتي. ان كان لديك اي اعتراض اخبريني فوراً.

فاحمرت وجنتاها خجلاً وهمست قائلة:

ـ اخفض صوتك قد يسمعنا احد.

ولكن ديلاني ضحك وقال:

ـ لا يهمني امر الآخرين على الاطلاق.

ثم خرجا من المطعم وتوجها الى المزرعة حيث كان راف ينتظر وصولهما. وقبل ان يدخلا قال ماك فجأة:

ـ اعتقد انك لا تحبينني.

فأجابت اوليفيا بلهجة ساخرة:

ـ اذن لم تزوجتني؟

كان لسؤالها وقع كبير على نفس ماك الذي سألها والغيرة تلهب عينيه:

ـ هلا اجبت بنفسك على هذا السؤال؟

ادركت اوليفيا غيرة الزوج واجابت مطمئنة اياه:

ـ لانني احبك طبعاً.

تلك اللحظة شعرت اوليفيا ان الغيرة انطفأت في عينيه واشتعلت نيران الشوق. وقال:

ـ انت كاذبة! اني لا اصدق ما تقولينه.

ولكنه في الحقيقة كان يصدق شعور حبيبته المخلص فأمسك بيدها ودخلا سوية الى المنزل.

٥ ـ العازف على الأسرار

بينما كانت اوليفيا تعدّ طعام العشاء، عرض عليها ماك المساعدة والحّ قائلاً:

ـ اني اصرّ على مساعدتك. قد اكون بطيئاً بعض الشيء ولكننا لسنا على عجلة من أمرنا.

فنظرت اوليفيا الى ذراعه اليسرى وقالت:

ـ ولكن ذراعك يا ماك.

فردّ بسرعة:

ـ اريد ان أمرّنها على الحركة.

سألته واللهفة تلهب عينيها:

ـ لماذا يا ماك؟

فاجاب بابتسامة مصطنعة وكأنه أدرك قصدها:

ـ كي اتمكن من أن اغازلك وأن احبك بطريقة أجمل وأفضل.

ثم جذبها اليه بحركة رشيقة. وقبّل خدّها الأرجواني.

لكن اوليفيا لم تفكّر بالقبلة بل بيده التي كانت تقلقها فسألته:

ـ ماك! أليس من علاج ناجع تداوي به ذراعك؟

ـ لا تجزعي. لن تكون حاجزاً بينك وبيني. وكفّي عن التفكير بذلك. الا يشغل بالك غير ذراعي؟

فأجابته بلهفة:

ـ ولكن يا ماك ان هذا الامر لا يزعجني اطلاقاً. انما.. انما كنت أقصد موسيقاك ومهنتك. ان مستقبلك هو الذي يقلقني. انت لا تقوم بأي جهد لاستعادته وكأنك تريد أن تثير شفقة الجمهور على حالتك هذه.

لم يتحمل ماك كلام زوجته فصاح قائلاً:

ـ لقد تزوجتني اذن بداعي الشفقة!

كلما أرادت أن تعبّر له عن حقيقة مشاعرها اتهمها بالرأفة والشفقة. أجابت:

ـ لا يا ماك! لقد أسأت فهمي مرة أخرى. انك تتكلم دائماً عن الشفقة و...

فقاطعها:

ـ فهمت الآن سبب زواجك مني. اذا لم يكن بدافع الشفقة كما تقولين، فهو بدافع من... لا أعرف ما هذا الشعور أو باية صفة أنعته. على كل حال، ان كل ما اعرفه هو أنني اذكّرك بالعازف الشهير

التي ما زالت صورته معلّقة في غرفتك ومطبوعة في ذهنك. ولكن هذا الانسان للأسف مات من زمن بعيد. لقد زال من الوجود بحضوري وانا أختلف عنه تمام الاختلاف! أختلف عنه تمام الاختلاف! لقد مات! مات!

صرخت اوليفيا:

- ارجوك أن تسكت وان تكفّ عن تعذيبي.

ولكنه تابع قائلاً:

- أنت يا اوليفيا لا تحبين الرجل الحاضر امامك الآن، انك تحبّين العازف الشهير. وانك تحاولين جاهدة وعبثاً احياءه في شخصي. لكنه مات ومزقه الموت ارباً ونخرت الديدان عظامه فجعلتها مجرّد تمثال للذكريات. لن تلتقيه أبداً أبداً!

فاجهشت اوليفيا بالبكاء وعلا صوت نحيبها وهي تقول:

- كيف تجرؤ على أن تخاطبني بهذه اللهجة وبأي حق تقول ما قلته؟ أنسيت اني اصبحت زوجتك أم انك لم تعتد بعد على وجودي؟ أنسيت ان الموسيقى هي العالم الوحيد الذي تحيا به وتعيش من أجله؟ اني مستعدة لان أضحي بحياتي كلها كي أعيدك الى عالمك الجميل.

وامام دموعها الساخنة وشعورها الجارف... أدار ماك وجهه غاضباً ثم خرج من الغرفة وراح ينادي راف. بينما بقيت اوليفيا وحيدة تخلع ثيابها وتضع قميص النوم وهي تقول لنفسها:

- يا آلهي! هل تراه سيعود الي؟ كم انا تعيسة في ليلة زفافي الأولى!

ولكن ماك لم يكن قاسياً الى هذه الدرجة. فهو يحبّها حباً كبيراً ولا يريد ايذاءها. رجع بعد قليل الى الغرفة حيث كانت تنتظره اوليفيا

بشوق ولهفة. دخل وهو يهمس باسم حبيبته:

- اوليفيا! اوليفيا!

اراد ان يعتذر لها عن تصرّفه الأحمق ولكنها لم تدعه يكمل نداءه فركعت ليضمّها الى صدره وقالت:

- سامحني يا ماك. أما زلت غاضباً مني؟

فابتسم ماك وقال:

- كان علي ان اعتذر منك بنفسي! دعينا ننس الأمر ونطوِ الصفحة!

ثم سار بها الى غرفته قائلاً:

- تعالي ياحبيبتي! دعينا نفتح صفحة جديدة.

وسألها:

- هل أعجبتك الهدية؟ أعني الخاتم الذي قدّمته لك.

فأجابت والفرح يغمر قلبها:

- طبعاً يا حبيبي. كل ما تقدّمه لي رائع.

حدّق ماك في عينيها وقال:

- اذن عليك ان تقدّمي بدورك هدية اخرى بالمقابل. وكم اتمنى ان تكوني أنت الهدية.

لم يكن طلبه أمنية بالنسبة الى اوليفيا التي كانت تنتظر لكي تهب حياتها كلها لحبيبها. فهمست في أذنه:

- أنا لك يا حبيبي! أنا لك! خذني الى حيث تشاء فأنا من الآن ملك لك.

لم ينتظر ماك أن تقولها مرة ثانية فأخذ زوجته الى حيثما شاء، الى عالم الحب الجميل الذي لا يعرف حاجزا ولا حدوداً. وظلّ يردد

أنفاسها وأصداء الليل تردد معه:

- حبيبتي... حبيبتي... حبيبتي.

وعندما استيقظت اوليفيا في الصباح الباكر، كانت المزرعة غارقة في السكينة بينما الطبيعة في الخارج تعزف سمفونية الحب للزوجين السعيدين. كل شيء يبدو جميلا فاتناً وسعادتها في تلك اللحظات تفوق سعادة الأم بمولودها الجديد وفرحة الطفل بحنان أمه.

قبل ان تلتقي حبيب العمر كانت أشبه بنهر جاف أو وردة ذابلة، او شمس غاربة. وكان ماك قبل مجيء اوليفيا، أشبه بطفل فقد أمه او بنجمة رحل منها البريق او بزهرة أضاعت عبيرها. لقد خلقت لتكون له وخلق ليكون لها. كانت ولادتهما مرتبطة متشابكة، لا معنى لبقاء الواحد منهما دون بقاء الآخر.

كانت هي البحر وكان هو الموج، كانت الصوت وكان الحنجرة.

كانت الحياة وكان الأمل. كانت الموسيقى وهو العازف. وعقب الليل نهار ساكن وهادىء، مفعم بالحب، لم تفارق خلاله يدا اوليفيا يدي ديلاني. ثم المساء حاملاً معه المزيد من الهيام والعشق. ألقت اوليفيا رأسها على كتف حبيبها وأمست تفكّر بماضيه وبالمرأة التي أحبّها قبل أن يتزوجها. وبدا لها زواجهما حلماً، لا بل وهماً او ضربا من الخيال يفوق تصوّر انسان عادي. كان أسمى من كل شيء. كان أجمل حدث اعترض حياتها.

وكان ديلاني، من جهته، يفكر في حياة زوجته الماضية. وراح يطرح عليها اسئلة عديدة:

- أخبريني عن حياتك السابقة يا آنسة اوليفيا بارنز.

فأجابت ببطء:

- سيدة اوليفيا ديلاني، من فضلك.

فضحك ثم سألها:

- ألم يكن في حياتك رجل آخر؟

انتظرت اوليفيا قليلاً قبل أن تجيبه:

- طبعاً! كنت أعرف رجلاً طيباً. كان يحبني كثيرا وما زال. ولكن علاقتي به كانت بريئة وسطحية.

بدا ماك مهتماً بأمر ذلك الرجل فسألها:

- هل طلب مرة يدك للزواج؟

فضحكت اوليفيا عندما رأت فضول زوجها المتزايد وأجابت بشيء من الكبرياء:

- طبعاً! لقد طلب أن يتزوج مني مرات عديدة وكثيرة. ولكني رفضت منذ البداية.

توقفت عن الكلام ثم اضافت قائلة:

- اعتقد انني لم اكن احبّه كثيراً.

عندها سألها ماك:

- كيف تزوجتني وانت بالكاد تعرفينني؟ انك تجهلين أموراً كثيرة عن حياتي.

لكن اوليفيا لم تعد ترغب في متابعة الحديث فأخذت يد حبيبها وراحت تتأملها بدقة. كانت تتخيّلها وهي تعزف برشاقة. ولكن عن أية رشاقة تتكلم بعد الحادث الذى اصابها! فجأة نزع ماك يده من بين يديها بعد ان ادرك حقيقة ما تبادر الى ذهنها وقال:

- لا تطلبي مني أن...

فخمنت اوليفيا ما كان ينوي أن يقوله:

ـ أن أراها تعزف من جديد؟ طبعاً لن أطلب منك ذلك.

كان بوده ان تطلب منه شيئاً آخر. لكنها لم تفعل وتركته يخمّن وحده.

فاقترب منها وأمطرها حناناً وكانت اوليفيا نبعاً لا ينضب وفي نفس زوجها ظمأ لا يرتوي.

وتمنى كل منهما أن تتوقف عقارب الساعة عن الحركة. ولكن الوقت يمر بسرعة. الوقت لا يرحم بل يخطف من الآخرين كل ثانية. لقد طرد الليل من المزرعة فتلاشى الظلام وطلع الفجر من وراء الجبال والحبيبان غارقان في نبع الحب.

قررّت اوليفيا في ذلك اليوم أن تنظف المنزل. وانصرف ماك الى أعمال كان قد أهملها منذ وقت طويل. بينما راح راف يتنقّل بين الاثنين فكان تارة يلحق باوليفيا اينما ذهبت وطوراً يبحث عن معلّمه.

وحين اشرفت اوليفيا على الانتهاء من التنظيف والترتيب وجدت نفسها امام باب الغرفة المقفلة التي طالما شغلت بالها. وفوجئت حين رأت المفتاح فيها للمرة الاولى. ولشدة دهشتها سمع ماك صوتها وظنّ انها تعرّضت لمكروه ما فلحق بها.

وحين وجدها تحدّق بمفتاح الغرفة راح يراقبها عن كثب. توقفت اوليفيا للحظات تسأل نفسها عن سبب وجود المفتاح. هل كان ماك يقصد أن تفتحه وتدخل الى الغرفة؟ هل رأى أنه لم يعد بحاجة لحجب أي سرّ عنها طالما انها أصبحت زوجته الشرعية؟ وبعد تردّد

وتفكير قررت أن تفتح الباب. ففعلت ودخلت الغرفة الغامضة. بدت لها الغرفة، للوهلة الاولى، وكأنها مجرّد مكتب عادي لا يتعدّى محتواها... الطاولة والكرسي والمرآة. ثم اكتشفت، في احدى زوايا الغرفة، جهاز موسيقى حديثاً تكدّست الى جانبه اسطوانات عديدة. كانت احدى الاسطوانات على الطاولة، وكان على غلافها صورة ماكير كونال عازفاً على البيانو. فأمسكت اوليفيا بقصاصات جريدة كانت ملقاة على طرف الطاولة. وشرعت تتصفّحها واذا بها ترى صورة زوجها والى جانبه امرأة لم يكن وجهها بغريب عنها، لأنها كانت شهيرة في عالم الموسيقى. وفي أسفل الصورة قرأت...

تربط العازفين الشهيرين علاقة صداقة متينة وحميمة. وقد تسرّب نبأ مشروع زواجهما في المستقبل القريب.

كان اسم تلك المرأة أنيتا برامبلا. وضعت اوليفيا الجريدة على الطاولة وأخذت قصاصة أخرى تروي قصة الحادث الذي وقع لماك. وقرأت... ان خطيبته تركته بعد الحادث من أجل رجل آخر. لم يعرف سبب الحادث الحقيقي لأن كونال رفض الادلاء بأي تعليق. ولكنه علم من مصدر موثوق بأن السبب يعود للخلاف الذي نشأ بينه وبين خطيبته قبل ثلاثة ايام من موعد زفافهما.

ونقل المقال عن لسان كونال:

ـ لن أتزوّج ابداً. لن تستطيع أية امرأة ان تمسّ مشاعري.

وبينما كانت اوليفيا مسترسلة في القراءة دخل ماك فجأة وقال:

ـ كنت متأكداً من انني أجدك هنا بالذات.

فأسرعت اوليفيا وأجابت:

- ولكني وجدت المفتاح في الباب و. . .

فأكمل ماك قائلاً بشيء من السخرية:

- ولم تستطيعي مقاومة الرغبة.

حدقت اوليفيا في وجهه، وادهشتها نظراته. لم يعد ذاك الحبيب الحنون الذي عرفته منذ مدة قصيرة. لقد تغيّرت لهجته وتبدّل موقفه منها، فبدا وكأنه رجل غريب تجهل هويته وهو يقول بصوت حازم:

- هل انت سعيدة الآن بعد ان عرفت كل شيء؟

فصرخت اوليفيا بانفعال شديد:

- لا! لست سعيدة، خاصة بعد ان علمت ان تلك المرأة التي احببت كانت سبب ارتكابك حادث السيارة. ومن يدري، ربما ما زلت تحبّها!

ثم حدّقت بعينيه وسألته:

- قل لي بربّك لماذا تزوجتني؟

واشتدت حدّة الحوار بينهما وأجابها قائلاً:

- كنت امرّ بفترة صعبة، كنت فيها بحاجة الى امرأة تعزيني في وحدتي وتؤنسني في وحشتي.

وأضاف بصوت ساخر مزّق فؤاد اوليفيا:

- كنت أريدك. وكان الزواج الوسيلة الوحيدة التي تمكنني من أن احصل عليك لاشباع حاجاتي ورغباتي و. . .

صرخت اوليفيا بأعلى صوتها:

- اخرس أيها الحقير! اني اكرهك! اني اكرهك يا ماكير ديلاني! اكرهك. . . ليتني لم اتزوّجك! اللعنة عليك.

وخرجت من الغرفة المشؤومة ودخلت غرفتها حيث راحت تبكي حتى أرهقها البكاء فاسترسلت في النوم.

حين استفاقت بعد ساعة تقريباً، وجدت ماك بقربها يقول:

- لقد جئتك ببعض الطعام. انهضي وتناوليه، هيّا!

اجابته بنبرة جافة:

- اني لا اشعر بالجوع.

لكنها لم تكن قادرة ان تستمرّ على هذه الحالة الكئيبة. كان حبّها أقوى من الغضب، وأكبر من روح الانتقام. حتى في هذه اللحظات، اجتاحتها رغبة شديدة في أن تعانقه.

وحين رأت انه ما زال بقربها ألقت ذراعيها حول عنق حبيبها وراحت تمسح دموعها بكتفيه وهي تقول:

- انني تائهة حائرة. ان المستقبل يخيفني. وأشعر كأن علاقتنا اقتربت من النهاية وان الحسّاد يتربصّون بنا و. . .

راحت أنامله تداعب شعرها لتهدىء خوفها وتطمئن قلبها. وهي تتابع قائلة:

- لم أعد افهم طباعك يا ماك. فتارة انت قاس وتعاملني بظلم وطوراً انت محبّ.

ثم أضافت:

- ضمّني يا ماك! أرجوك ان تضمّني.

لم يدعها تكرّر طلبها فأخذها بين ذراعيه. وبينما هما غارقان في حلمها الهادىء سمع فجأة طرق على الباب. فقام ديلاني ليفتح واذا به امام امرأة عجوز تقول:

- مرحباً! أهذا منزل السيد ماكير كونال ديلاني؟

وحين أجابها:

- نعم.

تابعت السيدة:

- اني زوجة ساعي البريد في القرية. ان زوجي مريض وقد كلّفني بأن اسلّمك هذا الظرف. أظن ان فيه بعض الصور التي تتعلق بزفافك يا سيّدي.

وبينما ديلاني يتحدث الى السيدة انضمت اوليفيا الى زوجها وقالت للزائرة:

- شكراً لك يا سيّدتي تفضّلي بالدخول.

فابتسمت العجوز وقالت:

- اني اشكرك يا عزيزتي، لا يسعني البقاء وقد أزورك مرة اخرى. الى اللقاء.

فاستوقفها ديلاني وسألها:

- كيف عرفت ياسيدة انني كونال ديلاني بينما أهل القرية لا يعرفون عني الا اسم ديلاني؟

فاجابت المرأة:

- لقد قرأت اسمك يا سيدي على ظهر احدى الصور التي حملتها اليك.

ثم أخرجت من حقيبتها صورة أخرى لها كانت قد احتفظت بها وطلبت منه أن يوقع عليها اسمه الكامل.

وقّع على الصورة فشكرته السيدة ثم حيّت اوليفيا ورحلت

والبسمة تعلو شفتيها. عندها التفت ديلاني الى زوجته وقال:

- اني خارج يا اوليفيا لأقوم بجولة صغيرة. لن اتأخر.

لكن اوليفيا سألته:

- وكم ستتأخر يا ماك؟

تنهّد ماك وأجاب:

- اوه! أرجوك ألا تكثري من الاسئلة.

فالتزمت بالصمت خوفاً من اغضابه. ودخلت تنتظره ساعات طويلة. جلست تنتظر رجوعه ومرّ الوقت وكأنه دهر لا ينتهي.

وعندما رجع ماك كان الظلام قد هبط وازداد قلق زوجته الى درجة انها لم تستطع ان تضبط اعصابها أمامه فقالت:

- لقد تأخرت كثيراً! أعني انك أخفتني. كدت اعتقد انك لن تعود وأنك هجرتني.

فهزّ ماك رأسه ودنا منها وقال:

- لا تخافي! أنا الآن بقربك ولن أغيب عنك طويلاً مرة ثانية. لقد اضطررت الى اجراء مكالمة هاتفية. هل هدأ روعك الآن؟

لم تعد خائفة ما دام أن حبيبها بجانبها لكنها لم تجرؤ ان تسأله عن تلك المكالمة.

فجأة سمع، من جديد، طرق على الباب. فقام ماك ليفتحه واذا بصوت الزائر يلعلع من مدخل المزرعة فيصل الى أذن اوليفيا التي أصيبت بالذهول حين سمعته يسأل زوجها:

- أين تلك المرأة اللعينة التي تعيش معها؟ أتيت لأخبرك ان أنيتا قد طلّقت زوجها وهي تستعدّ للارتباط بك من جديد!

فاقتربت اوليفيا منهما وقالت:
ـ مرحباً! انا هي المرأة اللعينة. اني زوجة ماك.
فتمتم الزائر كلمات:
ـ اني اعتذر يا سيدتي. ولكني...
وقاطعه ماك وقدّمه لزوجته:
ـ انه السيد فالتون هالينغر
فاضافت اوليفيا:
ـ أرى ان للسيد فالتون انشغالات عديدة منها مثلاً أنه يسعى الى طلاقنا. ارجوك يا سيدي، اني انتظر منك كلمة واحدة لأخرج من حياته نهائياً.
فصرخ ماك ساخطاً:
ـ أخرج فوراً يا فالتون! اخرج من هنا! لم تكن بحاجة للمجيء الى منزلي. كان عليك ان تفهم من خلال مكالمتي الهاتفية.
ثم التفت ماك الى زوجته وقال:
ـ أتذكرين ايفنس، الشاهد على زواجنا؟ لقد كتب مقالاً عني وتحدث فيه عن عودتي الى عالم الفن واختلق أكاذيب كثيرة عن قصة ظهوري بعد اختفاء طويل.
وبينما ماك يشرح الوضع لزوجته تدخّل فالتون ليقول:
ـ لقد بحثت عنك كثيراً وفي كل مكان وكم أتمنّى ان تعود للعزف من جديد.
اضافت اوليفيا:
ـ ولم لا تعزف من جديد، يا ماك؟

أجاب ماك:
ـ ارأيت زوجتي يا فالتون؟ انها معجبة بعزفي كسائر المعجبين الآخرين. وهي تتمنى أن أعود للعزف.
قال فالتون:
ـ اذن أترك لها مهمة اقناعك وأنسحب.
فردّ ماك:
ـ لا تنسَ يا فالتون أنه حتى زوجتي قد تعجز عن اقناعي!

٦ - جو الغيرة

بعد ان غادر فالتون هالينغر المزرعة، نظرت اوليفيا الى زوجها قائلة:

ـ ماذا كنت تقصد من كلامك هذا؟ لم افهم ما الذي تعنيه؟!

لكن سؤالها لم يلق جواباً فتابعت قائلة:

ـ ان كنت تريدني ان ابتعد عن حياتك نهائياً فسوف افعل. ان كنت تريد العودة الى انيتا فافعل دون تراجع. ولكن بالله عليك قل لي ماذا علي ان افعل؟ اتريدني ان ارحل؟.هل انت غاضب مني لأنني اريدك ان تعزف من جديد؟

بقي ماك صامتاً، لم ينطق بكلمة واحدة وكأن اوليفيا تتحدث الى نفسها او انه لم يكن الى جانبها.

وقف بذهول وعيناه شاخصتان الى زوجته. وحين ادركت اوليفيا ان كلامها واسئلتها تسقط كالماء على الصخر، تابعت قائلة:

ـ انك تنظر الي وكأنك تنظر الى خائن او عدو. لم افهم بعد ما الذي علي ان افعله؟

ماذا تنتظر مني؟ هل تسمعني؟! اتريدني ان اكذب، واقول بأنني لا اهتم بعودتك الى العزف على البيانو؟ لا! لن اكذب!

لم يدعها ماك تكمل كلامها وكأنه غير مكترث لما كانت تقوله. فقاطعها بلهجة غير مبالية وكأنه يريد ان يبدل الحديث:

ـ هلا تناولنا الطعام؟

عن اي طعام يتكلم؟ وهل الطعام يسد حاجتها ورغبتها الى موسيقاه؟

لم يكن جوعها مادياً بل كانت تتحرق للحظة حنان وعاطفة. احلى امنياتها تلك الساعة، كانت كلمة ناعمة من شفتي زوجها تعيد البهجة الى فؤادها الحزين بعد ان ساءت علاقتهما بسبب زيارة فالتون.

جلسا يتناولان طعامهما بصمت، ولم يحاول احدهما ان يتحدث الى الآخر. وعندما انتهى من وجبته قام ماك فارتدى سترته وكأنه يتأهب للخروج. نظرت اوليفيا اليه بتردد وانتظرته حتى فتح الباب فصرخت من اعماقها:

ـ الى اين انت ذاهب يا حبيبي؟ هل تذهب لنزهة وتتركني ساعات وساعات وحيدة في المنزل؟ كم اتمنى ان اقوم بنزهة ايضاً.

وامام انسياق عاطفتها اجابها ماك بلهجة ساخرة:

- ومن يمنعك من القيام بها؟!

لم تفهم اوليفيا قصده فسألت:

- ولكن اتعني ان يتنزه كل منا في طريق؟

فأجابها ماك دون ان يبدل صوته الساخر:

- تماما يا عزيزتي!

ثم تقدم نحو الباب ففتحه وقال:

- يجب ان تتعودي على الوحدة. لا تنسي انك زوجة ناسك يسعى دائماً الى الوحدة وينشد الانفراد.

وخطا خطوة نحو الخارج لكن اوليفيا استوقفته ونادته بصوت عال:

- خذني معك يا ماك. ارجوك لا تتركني وحيدة!

لكنه اصر على انفراده وقال:

- آسف يا اوليفيا! لا استطيع ان اصطحبك معي لأنني لن اكون وحدي. لو كنت الى جانبي سوف يبقى هاجس وجودك يشغل بالي ويلهيني عن التفكير والتأمل.

واضاف:

- كنت تعلمين منذ البداية انني اعيش كالناسك. فأنا احب الوحدة. انا انشد الوحدة واسعى اليها. وما كان عليك ان تقبلي بي زوجاً اذا كنت تكرهين هذا النمط من الحياة.

ولكنه لم يفهمها، ولم يدرك حقيقة قصدها لذلك حاولت ان توضح افكارها فقالت:

- ولكني يا ماك لا اكره الوحدة. كل ما احاول ان اقوله، هو اننا

اصبحنا شخصاً واحداً. لقد اصبحت جزءاً منك واصبحت انت جزءاً لا يتجزأ من ذاتي. وكما قال جبران لقد ولدنا معاً وسنظل معاً الى الابد. لقد بعث فينا الزواج حياة جديدة تربطنا ببعضنا حتى تبدد ايامنا اجنحة الموت البيضاء.

اجابها ماك:

- لكن لا تنسي ما قاله جبران حين تكلم عن الزواج في كتابه النبي حين قال... غنيا وارقصا معاً، كونا فرحين ابداً ولكن فليكن كل منكما وحده... كما ان اوتار القيثارة يقوم كل واحد منها وحده ولكنها جميعاً تخرج نغماً واحداً.

- انني ادرك جيداً حقيقة ما يعنيه وكل ما اطلب منك هو ان تدعني ازور عالمك واتعرف اليه.

لم يعد ماك يتحمل المزيد من المناقشات فقال ساخطاً:

- ابتعدي عن عالمي. افهمت؟! اريدك ان تبقي بعيدة عنه.

قالها وخرج. ولكنه عاد بعد لحظات واضاف:

- لقد نسيت ان اخبرك بأمر مهم... يمكنك ان ترحلي ساعة تشائين فالقرار لك وحدك.

فقالت اوليفيا بصوت حزين صادق:

- لم اكن اقصد ذلك يا ماك. لم افكر يوماً بالابتعاد عنك.

ولكن ماك كان قد ابتعد مئات الامتار عن المنزل فلم يسمع صوتها المتوسل.

هل حمل اليه الهواء صوت زوجته ونداءها اليائس، هل تستجيب السماء لصلاتها وتضرعاتها؟ وكيف يستمع الى ما قالته اذا ما لم يكترث

لدموعها وبكائها؟ فقد تابع سيره وتركها وحيدة في ذلك المنزل المهجور.

ولكن ما نفع البكاء والندم؟ قالت اوليفيا لنفسها، وهي تحاول ان تنسى الوحدة القاتلة التي تمزقها بأن اخذت تستمع الى اسطوانات زوجها. وراحت تبدل الواحدة تلو الاخرى، فمر بها الوقت من دون ان تشعر ولم تنتبه لنور الشمس وهو يخفت وتوشك الأشعة ان تغيب.

كان المساء قد اطل بعتمته حين فتح الباب ودخل ماك عائداً من نزهته الطويلة التي كادت الا تنتهي. اقترب من زوجته وسألها غاضباً:

ـ من سمح لك بان تستمعي الى تلك الاسطوانات او ان تدخلي الى هذه الغرفة؟

ارادت ان تقول شيئاً لكنه لم يترك لها المجال بل تابع:

ـ انك تحاولين ان تبعثي في من جديد روح الموسيقى والعزف. ولكنك لن تنجحي. لن ينجح احد في اقناعي بأن اعود الى العزف على البيانو. لم يعد يهمني ان اجمع ثروة.

ولكن اوليفيا لم تكن تفكر بالثروة او المال فقالت:

ـ ولكن الثروة يا ماك لا تهمني ابداً. كل ما يهمني هو موسيقاك الجميلة التي تعكس ذاتك.

كانت تكلمه بصوت حنون بينما نبراته قاسية وكلماته مؤلمة . . . مما جعل اوليفيا تفقد السيطرة على ذاتها. فرمت الأسطوانة من يدها بحركة غير واعية . . . وهمت بالخروج، ولكن لسوء حظها اصابت

الاسطوانة جبين ماك وجرحته فهرعت اليه تعتذر وتقبل جرحه وهي تتمتم:

ـ يا الهي! لم اكن اقصد ان اجرحك. ارجو ان تسامحني.

كانت الكلمات ترتجف على شفتيها لكنها لم تؤثر في ماك الذي ابعدها عنه بحركة خشنة قاسية.

تلك اللحظة انتبهت اوليفيا الى انه استعمل يده اليسرى للمرة الأولى ولكنها لاحظت ايضاً ان طباعه قد تبدلت وساء مزاجه وظهر وجهه الشرس فعاملها بقسوة لم تعهدها من قبل.

خرج من الغرفة بينما اجهشت هي بالبكاء.

لحظات ثم دخل اليها من جديد وقال بلهجة صارمة:

ـ احزمي الامتعة، سوف نغادر المزرعة فوراً. سوف نعود الى منزلي.

فاجأها بكلامه فقالت:

ـ كيف نرحل ونترك المزرعة؟ قد يأتي احد ويسرق ما فيها وربما يتخذ منها منزلاً له.

ـ لم تعد المزرعة تهمني الآن بقدر ما كانت تهمني قبل ان تأتي اليها.

ولكن هل نسي من تكون بالنسبة اليه؟ نظرت في عينيه تبحث عن بريق الحب الذي جمعهما لكنها لم تره. وارادت ان تعيد اليه ذاك البريق فقالت:

ـ ماك! انا لست بغريبة عن هذا المنزل. انا زوجتك! انا شريكة حياتك.

لكنه بدا وكأنه لم يسمع كلامها وكأنهما اصبحا من عالمين مختلفين

يجهل واحدهما لغة الآخر..!

ومن دون ان يجيب توجه ماك الى غرفته وشرع بحزم امتعته. وفعلت اوليفيا الشيء نفسه اذ لم يكن بوسعها ان تعصي اوامره.

ثم استقلا السيارة وتوجها نحو المدينة بعد ان تركا المزرعة غارقة في الضباب.

قطعا مسافة طويلة حتى خيل لاوليفيا ان الطريق لن تنتهي. لكن خوفها تبدد حين وصلا بعد منتصف الليل الى المنزل المنشود والواقع في مدينة ساراي.

توقفت السيارة امام منزل جميل يشبه قصور الأمراء. فنزل ماك منها وقال:

- هيا بنا! علينا ان ننام ولو قليلاً.

ثم توجه الى صندوق السيارة واخرج منه الحقائب. لم يكن بوسعه ان يحملها كلها بسبب يده اليسرى. فالتفت الى اوليفيا التي ما لبثت ان ادركت ما ينوي وقالت:

- دعني على الأقل احمل حقيبتي.

سارا عبر ممر صغير تحيط به حديقة لم تستطع اوليفيا ان تميز ازهارها من شدة الظلام.

حين وصلا الى الباب اخرج ماك المفتاح، وفتح ثم دعاها للدخول. لكن اوليفيا توقفت ونظرت اليه والبريق يداعب عينيها وقالت:

- ان العادات تقضي بأن تحملني. انها المرة الأولى التي ادخل فيها الى بيتك، اعني الى بيتنا؟

ولكن جوابه خيب املها:

- انه ليسعدني ذلك كثيراً، ولكني للأسف غير قادر على حملك. على كل حال اني اعدك بان احملك في يوم من الأيام.

تطلعت الى يده اليسرى التي عجزت ان تقوم بالواجب طبقاً للعادات والتقاليد. وقالت:

- آسفة يا ماك. لم اكن اعني ما قلته.

فقبل اعتذارها وقال:

- لا بأس! هيا ادخلي الآن.

فدخلت اوليفيا وراحت تجول بنظرها في منزل حبيبها الذي اصبح منزلها وادهشتها نظافته. فنظرت الى ماك لتسأله، لكنه سبقها وقال:

- ان ثمة امرأة تدعى فابر تعتني بالمنزل وتخدمني. انها تهتم بأمور التنظيف والترتيب والطعام. وهي تسكن بالجوار مع زوجها الذي يعتني بالحديقة...

عندها سألت اوليفيا:

- وهل كانت تعلم بمجيئنا؟

ضحك ماك ضحكة ساخرة واجاب:

- لا لم تكن تعلم بمجيئنا! حتى انها لم تعلم بزواجي بك.

ردت اوليفيا:

- اني آسفة اذا كنت سأحرج موقفك امام السيدة.. امام السيدة فابر على ما اعتقد.

فأمسك ماك بيد زوجته وقال:

- ولكنك يا عزيزتي لن تحرجي موقفي ابداً. سوف تفهم السيدة

فاير انك اصبحت حاجة ملحة بالنسبة الي.

بدا كلامه وقحاً فاحمرت وجنتا اوليفيا خجلاً، ثم قادها الى غرفة نوم الضيوف وقال:

ـ اعتذر لأنك سوف تمضين الليلة هنا. لأن غرفتي ليست معدة بعد لاستقبالك.

فأجابته:

ـ لا بأس!

ثم تركها وخرج من الغرفة فراحت تخلع ثيابها وارتدت قميص النوم. وقبل ان تأوي الى فراشها فوجئت به يدخل الى غرفتها ويقول:

ـ كنت اتنزه قليلاً في الخارج. اني حقاً متعب.

وراح يخلع ثيابه ويرمي بها على كرسي قريب. فسألت اوليفيا متعجبة:

ـ ولكن هل تريد ان تنام هنا؟

فنظر اليها بدهشة وسأل:

ـ وهل لديك اي مانع؟

لم تتردد بل قالت بدلال:

ـ ولكني مرهقة.

اجابها ماك وقد فهم قصدها:

ـ لكني انوي النوم فقط. كنت اريد ان اشاطرك الفراش.

وخلع ثيابه كلها قطعة قطعة امام زوجته الخجولة التي لم تعتد عليه بعد. ثم ناداها بشوق:

ـ تعالي يا حبيبتي. اعلم حق المعرفة انك مشتاقة الي كما انا مشتاق اليك.

لقد تبدلت نبرة صوته. لم يعد ذاك الرجل القاسي الذي امرها منذ بضع ساعات بمغادرة المزرعة. فجأة تذكر انها زوجته وامتلكته رغبة شديدة بأن يضم جسدها المرهق الى صدره.

زالت عن اوليفيا كل المخاوف وتبدد حزنها وعاد اليها الأمل وتساءلت...

كيف تقاوم تلك الرغبة المضطرمة في داخلها وفي احشائها؟ كيف تقاوم او ترفض حرارة صوته الصادقة..؟

لم تقرر مصير تلك اللحظة وتركت الشوق يتلاعب بعواطفها

وجاءت شمس الصباح الضاحكة فاستفاقت اوليفيا على زقزقة العصافير وكانت الطبيعة تعزف لها اغنية العشق والحياة.

قامت من فراشها واعدت نفسها لاستقبال يوم جديد مليء بالأحداث.

كان ماك قد افاق باكراً وخرج من الغرفة ولم تكن تعلم الى اين. لكنها لم تعر الامر اهتماماً. خرجت من الغرفة الى الدار فوجدت ماك يتكلم على التلفون ويقول:

ـ الا يحق لي ان انعم بشيء من الهدوء والسلام؟ ثم كيف علمت بوجودي في المنزل؟ اما زال ذلك الصحفي اللعين الخبيث الذي

يدعى بيتر ايفنس يتبع اخباري؟ هل تتجسسون على اعمالي وتلاحقون كل خطوة اقوم بها؟ ماذا؟ تسأل عن حالة يدي؟ اهذا كل ما يشغل بالك؟ نعم اني اتابع العلاج الضروري. اجل، اجل كما قال لي الطبيب.

كاد ينتهي من المكالمة حين انتبه لوجود شخص يقترب منه فالتفت وراءه وهو يعيد السماعة الى مكانها وقال:

- اهذا انت يا اوليفيا!؟ ومنذ متى تتجسسين علي؟ انت ايضاً تراقبينني كالآخرين.

ترددت اوليفيا قبل ان تجيب ثم قالت:

- لم اكن انوي ان اتجسس عليك. ولكني كنت ابحث عنك ثم سمعت صوتك يتسرب من الباب فجئت اليك ولم اشأ ان ازعجك.

ثم صمتت قليلاً. ارادت ان تقول شيئاً لكنها لم تجرؤ فصاحت:

- لقد سمعته! كان فالتون على الهاتف اليس كذلك؟ لقد سمعته! يريدك ان تتركني. هز ماك برأسه وقال:

- ولكنك سمعت بما اجبته. او انك لم تصلي في الوقت المناسب. اسمعتني اتحدث عن الهدوء الذي احتاج اليه؟ ام انك مثلهم لن تتركيني وشأني؟

لم يكن ماك يريد ان يستقبل هذا اليوم بالمناقشات والخلافات. فحاول ان يبدل الموضوع ويخفف من حدة التوتر الذي ساد بينه وبين زوجته فقال لها:

- اني جائع. هيا بنا الى المطبخ. ان السيدة فابر قد اعدت لنا طعاماً لذيذاً.

بعد ان تناولا الطعام سوية عرض ماك على زوجته نزهة صغيرة كي تتعرف اكثر على موقع المنزل الجديد وما يحيط به.

وبعد ان عادا من جولتهما سألته اوليفيا:

- لم اخترت هذا البيت بالذات؟ اقصد لم اشتريت بيتاً كبيراً كهذا؟

ضحك ماك وقال:

- لم اختره بنفسي، فخطيبتي السابقة انيتا قررت ان نشتريه.

حين ذكر اسم انيتا شعرت اوليفيا برعشة تجتاح جسمها. ولكنها تمالكت نفسها وقالت لذاتها... وما يعني اسم انيتا بالنسبة لنا؟ انها من عالم الماضي والذكريات. ولكن هل تموت الذكريات؟ هل ما زال ماك يفكر بها؟ فهذا المنزل منزلها وانا مجرد دخيلة غريبة شوشت عليه شريط الذكريات. ثم التفتت الى ماك وكأنها تبحث في عينيه عن جواب مطمئن، يعيد اليها الثقة بحبها وقالت:

- بالمناسبة يا ماك! لقد سمعت ان انيتا اوشكت على الطلاق من زوجها، لا بل طلقته.

فالتفت ماك اليها وتساءل عن قصدها. لكنه قبل ان يقول كلمة واحدة قاطعه جرس الهاتف.

فأسرعت اوليفيا ورفعت السماعة قائلة:

- الو! نعم، من يتكلم؟

واذا بصوت السيد فالتون يقول:

- اعتقد انك تذكرين السيد فالتون يا سيدة ديلاني. اريد من فضلك ان اتحدث الى زوجك.

لكن اوليفيا لم تمتنع عن طرح السؤال الذي كان يحرق شفتيها فقالت:

- في اي موضوع تريد البحث مع زوجي يا سيد هالينغر؟

لم يكن باستطاعته ان يجيبها مباشرة عن السؤال واكتفى بقوله:

- لا تنسي يا سيدة ديلاني انني مدير اعمال زوجك.

فنادت اوليفيا ماك وخرجت من الغرفة لتدعه يتحدث مع فالتون. وتوجهت الى السيدة فابر لتتحدث اليها وتتعرف اليها اكثر. فدار بينهما حوار يتعلق بلقاء اوليفيا الأول بماك ديلاني. حتى ان اوليفيا لم تبخل على السيدة فابر برواية تفاصيل وصولها الى المزرعة، وحالة السيد ديلاني السيئة بسبب المرض ومعاملته القاسية لها في البداية. وكيف هددها واخافها... وحتى يوم زفافها. بعدها رافقت السيدة فابر الى بيتها المجاور كي تتعرف على زوجها جاك.

كان جاك في ذاك الوقت يعتني بالحديقة ويروي ارضها الخضراء المزروعة باصناف مختلفة من الخضار. وقد بدت الدهشة على وجه اوليفيا وسألت:

- اراك تزرع الخضار يا سيد جاك!

فنظر اليها مبتسماً وقال:

- طبعاً يا سيدة ديلاني. فالسيد ماكير يفضل ان ازرع الخضار في ارضه.

فاستوضحته:

- تعني ان السيد ماكير يحب الخضار ويفضل ان يقطفها من حديقته.

فهز الرجل رأسه ايجاباً وعاد الى الأرض العطشى ينعش تربتها.

عندما رجعت اوليفيا مع السيدة فابر الى المنزل كان ماك قد غادره الى مكان مجهول. لكن اوليفيا لم تعر الأمر اهتماماً بل استغلت فرصة غياب زوجها لتجري مكالمة هاتفية. وبعد ان حصلت على الرقم اتصلت بدانيال والتينغ الذي فاجأته المكالمة وقال:

- اوليفيا؟ اهذا انت! ولكن من اين تتكلمين؟ هل تقضين ايام عطلة سعيدة؟ لقد طال غيابك عنا ونحن مشتاقون لرؤيتك.

ولكن اوليفيا قاطعته قائلة:

- اسمع يا دانيال انا بحالة جيدة واقضي اياماً سعيدة لا بل انها اجمل ايام حياتي. دانيال! علي ان اقول لك اموراً كثيرة. اجل يجب ان تعلم قبل كل شيء انني تزوجت. دانيال! دانيال! اما زلت تسمعني؟ اجبني!

فأجاب بعد صمت دام بضع لحظات:

- اجل، اجل اني اسمعك جيداً.

عندئذ تابعت اوليفيا قائلة:

- سوف اشرح لك الأمر فيما بعد. وارجو يا دانيال ان تزورنا في وقت قريب.

بدا شيء من الغضب في لهجته واجاب:

- ولكن ليس عليك ان تشرحي اي شيء.

توقف ثم تابع:

- المهم ان تكوني سعيدة.

فقالت اوليفيا:

- ان الظروف يا دانيال هي التي توجه سعادتي.

لم تكن تريد ان توضح ما قالته فأضافت بارتباك:

- الى اللقاء! سوف أحدثك فيما بعد. الى اللقاء يا دانيال!

ورد صوت من الخارج على وداعها قائلاً:

- الى اللقاء يا عزيزتي.

فوقعت السماعة من يدي اوليفيا واستدارت واذا بها ترى زوجها واقفاً خلفها والبسمة الساخرة ترتسم على شفتيه وقال:

- اعتذر ان كنت قد ازعجتك. اكنت تتحدثين مع حبيبك؟

كان لكلامه وقع قاس على اوليفيا التي اجابت بغضب:

- انك تعلم جيداً ان دانيال ليس حبيبي بل هو مجرد صديق.

فاقترب منها وجذبها اليه وقال لها:

- سمعتك تتكلمين عن السعادة. . . وسمعتك تحدثينه عن ارتباط سعادتك بالظروف. لذلك فسوف اجعلك الآن يا عزيزتي تشعرين بسعادة لم تشعري بها من قبل. تعالي!

وضمها ماك بقوة حتى كاد يخنقها بين ذراعيه ويسحق جسمها النحيل. ثم رماها على الاريكة . . . فهتفت معترضة:

- ولكن يا ماك. قد يدخل احد ما في اي وقت كان.

فطمأنها قائلاً:

- لا تخافي! لقد اقفلت الباب. انك الآن معي ولن يزعج احد خلوتنا هذه بل لن يستطيع احد أبداً ان يزعجها او يعبث بها.

كان ماك على حق فلم يقاطع احد عليهما رحلتهما على متن سفينة الحب. وبعد ساعات حين اشرفت الرحلة على النهاية ورست

السفينة على شاطىء اليقظة. . . قال ماك:

- هل انت سعيدة الآن يا حبيبتي؟ او انك تفضلين الحب مع دانيال هذا!؟

فأجابته اوليفيا بكل هدوء:

- لا اعلم ايهما الأفضل. سوف احاول الحب مع دانيال وبعدها اقارن بينكما واقول لك من الأفضل واشبع بذلك فضولك.

لم يكن ماك ينتظر مثل هذا الجواب فأجاب باندهاش:

- ماذا؟ ماذا تقولين؟

لكن صوت السيدة فابر قطع سؤاله وسمعها تقول له:

- عفواً يا سيد ماك. هناك سيدة تريد مقابلتك. انها السيدة انيتا. انها بانتظارك في الدار وترفض ان تغادر المكان قبل ان تلتقي بها.

٧ ـ لن أحب أحداً سواك

بعد أن خرجت الخادمة من الغرفة، التفت ماك الى أوليفيا وقال لها:

ـ أريدك أن ترافقيني الى الدار.

لكنها لم تكن راغبة في ذلك على الاطلاق. وما أن سمعت اسم أنيتا حتى شعرت بخوف غريب يجتاح قلبها. لذلك أجابت:

ـ أفضّل ان تذهب وتجابهها بمفردك، قد يزعجها وجودي الى جانبك. ثم اني لا احتمل رؤيتها.

لكن ماك أصرّ على موقفه وقال بلهجة صارمة:

ـ سوف ترافقينني شئت أم أبيت.

وأضاف بلهجة أقل تصلّباً:

ـ اني اريدها أن تقابلك لكي تفهم أنها خسرتني الى الأبد.

بعث كلامه في قلبها شيئاً من الشجاعة. فأمسكت بيد زوجها واتجها معاً الى الدار حيث كانت أنيتا تنتظر.

كانت أنيتا قد جلست في احدى زوايا الغرفة الكبيرة بعد أن اشعلت سيكارة راحت تنفخ دخانها الابيض حتى ملأ الغرفة.

حين سمعت الخطوات تقترب منها، رفعت أنيتا رأسها وبدت على وجهها علامات الدهشة وبدا واضحاً أن وجود اوليفيا أزعجها. فقالت لماك بكل وقاحة:

ـ اني أريد أن أتحدث اليك على انفراد.

وأمام جرأتها هذه تساءلت اوليفيا:

ـ ما هذه المرأة الوقحة!؟ انها حتى لم تلق التحية.

لكن ماك تدارك الموقف المحرج والتفت الى الزائرة العنيفة فوجّه اليها نظرة معاتبة وقال:

ـ هل اعجبك اختياري لأوليفيا زوجة لي؟

تجاهلت أنيتا سؤاله وأجابت:

ـ لقد طلبت أن اقابلك على انفراد.

فأجابها ماك:

ـ ولكن يا سيدة أعني آنسة أنيتا، لا توجد أية أسرار بيني وبين زوجتي.

امام موقفه الجازم لم يعد بوسع أنيتا أن تصرّ على رغبتها فاستسلمت رغماً عنها للامر الواقع وقالت:

ـ حسناً! اذا كنت مصمّماً على موقفك هذا. ولكني أعدك بانك

سوف تندم عليه تمام الندم.

ثم اقتربت منه قليلاً ورمقت اوليفيا بنظرة اشمئزاز. ودنت منه أكثر فاكثر، حتى كاد جسمها يلتصق بجسمه وقالت دون أي تردّد:

ـ ما زلت أحبك يا ماك ولم اتوقّف يوماً عن حبك. وما أريده الآن منك هو أن تطلّق زوجتك كي تستعيد العلاقة الحميمة التي كانت تربطنا ببعضنا البعض.

اطلق ماك ضحكة عالية وقال بلهجة ساخرة غلفها الحقد وحب الانتقام:

ـ يا آلهي! لقد حطمت فؤادي بكلامك الجميل والمؤثر هذا. وأكاد أجهش بالبكاء. ولكن الأوان قد فات الآن. لقد تأخرت كثيراً يا عزيزتي فسبقك القطار.

ثم اقترب من زوجته وأضاف قائلاً:

ـ لقد اخترت زوجة تليق بمقامي وتسهر علي وتعتني بي لدرجة أنها اصبحت حاجة ماسة لا بل ضرورة أولية في حياتي. لم أعد استطيع أن اتخلّى عنها لحظة واحدة ولا غنى لي عنها.

وبعد أن حدّق في عيني أنيتا، اضاف قائلاً:

ـ أرى أنك تجهلين معنى السهر والاعتناء بشخص. انك تجهلين تماماً معنى الحاجة وأعني بها حاجة المرء إلى مساعدة الغير.

وبحركة لا شعورية أمسكت اوليفيا بيد زوجها وأشارت اليه بأن يلتزم الصمت، ففعل. عندها ردّت أنيتا وقد تجاهلت كل ما قاله لها:

ـ أريدك يا ماك أن تعود للعزف على البيانو.

فأجابها ماك ساخراً وسائلاً:

ـ كم دفع لك فالتون ثمناً لمهمة اقناعي بالعودة الى العزف؟

ازداد غضب أنيتا وهي تجيبه:

ـ سوف استعمل كل الوسائل من أجل استعادتك. وقد ألجأ الى أقبحها اذا ما اضطرتني الظروف لذلك. أجل! يمكنني أن اشوه سمعتك، خاصة بعد أن حصلنا على معلومات قد يتشوّق الجمهور الى معرفتها. فان السيدة فابر اطلعتنا على أمور كثيرة وزوّدتنا بأخبار قد تهمّ الصحافة كثيراً. أذكر منها على سبيل المثال الحالة المرضية السيئة التي كنت تتخبّط فيها لدى وصول زوجتك الى تلك المزرعة. أضف اليها ادعاءاتك بارتكاب جريمة ما ومن يدري ربما قد تكون جرائم متعددة، وتهديدك باغتصاب تلك المرأة التي تدعي أنها زوجتك.

أمام كلامها المهدّد هذا، لم تعد اوليفيا قادرة على الاحتمال، فقد عيل صبرها وصرخت بوجه زائرتها الوقحة:

ـ اخرسي يا سيدة أنيتا. يكفي ما قلته حتى الآن! لقد ربحت الجولة. واذا كان ماكير يريدك فاني انسحب ويبقى لك بكليّته. ولكني أتساءل كيف يستطيع أن يحب امرأة مثلك.

لم يعد باستطاعة ماك أن يحتمل اكثر. فتدخّل لوضع حد لتلك المناقشة التي بدا انها أخذت طابع الانتقام الشرس وسارع يقول لزوجته:

ـ مهلاً يا اوليفيا! لا تتسرعي في اتخاذ موقف قد تكون ردّة فعله سيئة علينا جميعاً. ثم من قال لك اني أحبّها؟ وما ادراك أني أريدها؟

فأجابت اوليفيا وقد شعرت برياح الأمل الخائب تلفح قلبها:
ـ لو كنت تحبني حقاً لقلت لي ولو مرة واحدة أحبك. ولكني لم اسمع منك هذه الكلمة التي طالما اشتقت لسماعها. أتذكر ليلة سألتك فيها عن الحب وبشكل خاص عن حبك لي، حينها اكتفيت بالقاء قصيدة صغيرة عن الحب وامتنعت عن الاجابة مباشرة على سؤالي.

وتوقفت قليلاً وأرسلت تنهيدة عميقة ثم تابعت قائلة:
ـ أنيتا لك الآن. تستطيع ان تمزق وثيقة زواجنا ان شئت فأنا راحلة عنك، أقصد عنكما. أفضل أن أعيش مع رجل يتلو على مسامعي كلمات الحب الجميلة ولا يعاملني بلا أية مشاعر وكأن الحب مجرّد شهوة عابرة تزول عند اشباعها. سأعود الى دانيال والتنغ فهو على الأقل يحبني حق المحبة ولن يتركني أبداً.

بعد أن قالت أوليفيا ذلك صعدت بسرعة الى غرفتها وراحت تحزم أمتعتها... بينما بدأت عيناها تغرقان بالدموع. كان الدمع يفيض مثل نهر يغمر كل ما يحيط به.

وبعد ان انتهت من حزم أغراضها، توجّهت الى الدار حيث كان ماكير يواجه بصمت أنيتا اللامبالية.

حاولت ان تخفي دموعها قبل ان تدخل عليهما وقالت:
ـ الوداع يا ماك! أتمنى لك حظاً سعيداً مع من اخترت. وأتمنى النجاح لمهنتك في المستقبل القريب.

ثم هرعت الى سيارتها ورمت الحقائب في الصندوق الخلفي وأدارت المحرّك. وغادرت المكان دون ان تلتفت الى زوجها الذي

لحق بها وأخذ يصرخ:
ـ تمهّلي يا أوليفيا! تمهلي ايتها المجنونة!

وقطعت طريقاً مزدحمة بالناس حتى وصلت اخيراً الى منزلها بعد غياب دام بضعة اسابيع.

وكانت الشمس قد اشرفت على المغيب وغاب معها الأمل والبسمة. وراحت تنسج آخر وهج من النهار حول الأفق اللازوردي. فنظرت اوليفيا الى الوشاح الذي كانت تنسجه الخطاطيف حولها وهي تسبح بطيش في كبد السماء.

ثم ترجّلت من السيارة. أخرجت حقيبتها ودخلت الى المنزل. جلست وحيدة فعادت اليها الذكريات وعاد الى ذهنها شريط الايام الغابرة. وتذكرت خالتها مولي التي ترعرعت الى جانبها منذ نعومة اظفارها والتي أورثتها كل ما كانت تملكه من مال وثروة بالاضافة الى هذا البيت الجميل.

لكن أوليفيا لم تكن تأبه بالمال. فماذا ينتفع الانسان لو ربح مال العالم وخسر من يحبّ!

أضاءت النور ثم هرولت الى غرفتها حيث كانت صورة ماك معلّقة على أحد الجدران. فاقتربت منها وراحت تتأمل ماك الذي كان يعزف على البيانو.

ثم مدّت يدها نحوه وحاولت ان تلمس يديه، لكنه لم يلتفت اليها. لم يبتسم لها ولم يضمّها الى صدره كما كان يفعل. فشعرت اوليفيا بوحدة غريبة تلفّها وتكاد تسحق قلبها.

كان حلماً جميلاً وتبدّد. كان سراباً واختفى. كان بريقاً وانطفأ.

لقد هربت من حبّها وهجرت حبيبها. رحلت من أجله ومن أجل وحدته بالذات. كان حبها مرحاً فهوى، ولم يبق منه سوى الأطلال التي شتتها الرياح وبعثرتها العواصف.

الآن بات عليها ان تعتاد على الوحدة. ولكنها لم تكن مستعدة بعد لتحمل هذا العبء الثقيل الجديد. لذلك خرجت من المنزل وقرّرت ان تزور جيرانها آل والتينغ.

لكنها حين بلغت باب المدخل تردّدت قليلاً ثم دقّت الجرس. سمعت خطوات بطيئة تقترب من الباب لتفتحه. واذا بالسيدة والتينغ والدة دانيال تقول والدهشة في عينيها:

- يا إلهي! هذه انت يا أوليفيا! أهلاً وسهلاً بك تفضلي يا عزيزتي. ما هذه المفاجأة السارة!

قبّلتها ثم نادت على ابنها دانيال قائلة:

- دانيال! دانيال! اسرع الى هنا. ثمة شخص في انتظارك.

وصل دانيال بعد دقائق قليلة فتفاجأ بوجود اوليفيا. وتلعثم في كلامه ثم قال:

- أوليفيا! ما الذي جاء بك الى هنا؟ هل أنت بمفردك؟ اعني هل بقي زوجك في البيت؟

فابتسمت اوليفيا له وقالت:

- لقد اتيت بمفردي الى المنزل. علي ان اقوم ببعض الترتيبات اللازمة.

ولكن عذرها لم يكن كافياً لغياب زوجها وعدم حضوره، على الأقل بالنسبة الى السيدة والتينغ. وبينما كانت السيدة تحدّق اليها

متسائلة، اضافت اوليفيا قائلة:

- ان زوجي منكبّ على عمله. الوقت يداهمه وعليه ان ينهي بعض الاعمال المستعجلة. لذلك لم يستطع ان يرافقني.

فسألها دانيال:

- ومن يكون صاحب الحظ السعيد الذي حظي بامرأة مثلك؟

احمرّت وجنتا اوليفيا وأجابت:

- ان اطراءك لطيف. حبذا لو كانت اللطافة في قلب كل انسان.

ثم توقفت هنيهة وأجابت:

- لقد تزوجت بماكير كونال.

وبعد ان لاحظت الدهشة التي ارتسمت في عيون السيدة والتينغ وابنها، اوضحت قائلة:

- اجل، ان زوجي هو العازف الشهير الذي تملكان الكثير من اسطواناته.

فقالت السيدة والتينغ:

- انني ابارك اختيارك هذا الشخص الكبير والعظيم. ولكن... ولكنه...

وتوقفت السيدة عن الكلام ولم تجرؤ ان تطرح السؤال. لكنها اصرت على معرفة كل شيء وقالت:

- لقد كتبت الصحف ان السيد ماكير تعرّض لحادث سيارة كاد يقضي على حياته.

وأظن انه اصيب خلاله بعاهة في يده اليسرى على ما اذكر. وقيل ان الحادث وقع بسبب امرأة كان على وشك الزواج بها.

اجابت اوليفيا بعد ان ادركت انه لا بد لها من أن تواجه هذه الأسئلة وتشبع فضول الناس، وقد اصبحت زوجة العازف الشهير والذائع الصيت ماكير كونال:

ـ أنت على حق يا سيدة والتينغ. لقد أصيبت ذراع زوجي اليسرى بعد ان تعرّض لحادث سيارة خطير. ولكنه الآن في صدد معالجتها. وهو يهيء نفسه لكي يرجع الى العزف من جديد.

وتساءلت السيدة والتينغ من جديد:

ـ ولكني لا أفهم كيف تتحملين فراقه وأنتما في أول عهد زواجكما؟

عندها أرادت اوليفيا ان تضع حداً لهذا الحوار فأجابت:

ـ اعتقد ان الظروف تتغلب في بعض الاحيان على رغباتنا وتسيّرنا في طريق لا نختارها.

أرجو ان تكون قد استفدت من الغرفة التي خصّصتها خالتي لك.

فأجابت الأم:

ـ طبعاً، طبعاً! انه يقضي معظم أوقاته في هذه الغرفة المظلمة.

ردّت اوليفيا:

ـ أرجو ان لا يمنعك وجودي في المنزل من التردّد على الغرفة. والآن ارجو المعذرة، لكني اشعر بنعاس رهيب. الى اللقاء يا سيدة والتينغ.

فقالت العجوز:

ـ طبعاً يا عزيزتي، لقد أضناك السفر. ارجو ان تأخذي قسطاً من الراحة يعيد اليك النشاط والحيوية اللذين عهدناهما فيك.

ثم خرجت ورافقها دانيال الى منزلها لأن الوقت كان قد تأخر

واشرفت الساعة على التاسعة ليلاً.

وحين وصلا الى المنزل، دعته للدخول ففعل. وعند الباب، أمسك بيدها وقال:

ـ رغم ابتعادك عنا، ما زلت أملك الأمل في عودتك الينا. اشعر انك غريبة عن عالم الرجل الذي اخترته.

وبعد ان حدق في عينيها الشاردتين، اضاف قائلاً:

ـ أرى انك لست على ما يرام يا اوليفيا، ما الأمر؟ أخبريني ما بك، ربما استطيع مساعدتك على تجاوز المحنة التي انت فيها. اني اراك تتخبطين في اليأس وتصارعين الكآبة، لا تحاولي ان تخفي حزنك عني. هل صحيح ان زوجك لم يتمكّن من مرافقتك بسبب علاجه وأعماله المتراكمة؟ أم انك اخترعت هذا العذر الكاذب؟ هل أستخلص ان زواجكما قد فشل؟ أجيبي يا أوليفيا! ارجوك ان تجيبيني! أتوسّل اليك ان تردّي عليّ!

سحبت أوليفيا يدها من يديه وصرخت بوجهه:

ـ أجل! أجل! أجل! لقد فشل زواجنا. لقد فشل لأسباب يجهلها الجميع، حتى انت يا دانيال لن تفهمها ابداً.

لم يكمل المناقشة لانه لم يشأ ان يزعجها ويزيد من حزنها. فاعتذر منها وودّعها قائلاً:

ـ اعدك يا اوليفيا بانني لن اطرح عليك اي سؤال بعد اليوم.

فالتفتت اليه وشعرت برغبة جامحة لأن يغمرها بذراعيه ويلفّها بحنانه، وقالت:

ـ ما زلت تستطيع التردّد على غرفتك واستعمالها ساعة شئت.

أعلم أنك بحاجة اليها فيا يتعلّق بفنك التصويري. لا تتردّد في استعمالها.

فشكرها دانيال قائلاً:

ـ شكراً لك يا اوليفيا. والآن طابت ليلتك. أتمنّى لك احلاماً سعيدة.

ودّعها دانيال وعاد الى بيته فدخلت اوليفيا الى الدار واشعلت سيكارة وراحت تدخنها بهدوء. تحاول ان تنسى همومها. فجأة رنّ جرس الهاتف فرفعت السماعة وقالت:

ـ ألو! من المتكلم؟

واذا بصوت غريب يجيبها قائلاً:

ـ أدعى ديك هارفي. أنا صحافي وأرغب بالتحدث الى السيدة ماكير كونال.

أجابت اوليفيا:

ـ انك تتحدث الى السيدة اوليفيا ديلاني. هلا اخبرتني، من فضلك، كيف حصلت على رقم هاتفي؟

اجابها الصحافي:

ـ لقد طلبته من السيدة فابر. كنت اودّ ان اطرح عليك بعض الاسئلة.

فقاطعته اوليفيا قائلة:

ـ ولكني لا أملك الوقت للاجابة على اسئلتك السخيفة هذه.

لكن السيد هارفي أصرّ على موقفه وسأل:

ـ قيل انك على وشك الطلاق من السيد ماكير، فهل هذا الخبر

صحيح يا سيدة ديلاني؟

فأجابت اوليفيا بغضب:

ـ لا! لا! هذا غير صحيح ابداً.

فاستطرد الصحافي:

ـ ولكن خطيبة زوجك السابقة قد أكّدت لنا الخبر هذا. فما هو تعليقك على ذلك؟

وأمام معلوماته تلك، اكتفت اوليفيا بالاجابة:

ـ ليس لدي اي تعليق. أشكر لك فضولك وأرجو ان لا اسمع صوتك مرة اخرى.

ثم اشعلت سيكارة ثانية ودخلت غرفتها وحاولت ان تنام.

وتوالت الأيام، فبدت وكأنها دهر لا نهاية له. أحسّت اوليفيا ان الوقت يمرّ دون ان يطرق بابها. وشعرت وكأن الزمن نسي او تناسى وجودها، لا بل ان العالم كله تجاهلها. لم يتصل بها زوجها ولو مرة واحدة. ولم تردها اية معلومات بشأنه ولم يشأ آل والتينغ ازعاجها فتركوها تتخبط في وحدة مؤلمة موحشة.

وذات يوم، بينما كانت تغتسل في الحمام، سمعت طرقاً على الباب. فأسرعت تسكب الماء على جسمها لتزيل عنه رغوة الصابون، ولفّت منشفة حول نفسها. ثم هرولت الى الباب لترى من الزائر. كانت متأكدة من هويته. فمن عساه يكون غير دانيال. وحين وصلت الى الباب وجدته مفتوحاً وأبصرت زوجها ماثلاً امامها.

فقالت والدهشة في صوتها دون ان تعي ما تقول:

ـ اعتقدت انك دانيال.

فسألها ماك بلهجة ساخرة:

ـ لقد خيبت املك. اعتذر عن ذلك. ولكن الا تدعينني للدخول؟

فقالت بعد تردّد:

ـ تفضّل! أدخل.

فعاد ليسألها ساخراً:

ـ أرى انك كنت بانتظار شخص آخر. هل انت تتمتعين برفقته؟ هل تواعدتما على الاغتسال سوية؟

فصرخت أوليفيا:

ـ هلا خرجت فوراً من بيتي!

لكن ماك تابع كلامه بكل هدوء وسألها:

ـ أهكذا تستقبلين زوجك بعد غياب شهرين؟ انك تلومينني وكأنني أنا الذي هجرتك. هل نسيت انك اخترت الرحيل بنفسك؟ ام انك ما عدت تذكرين ذلك؟

ثم جذبها بيده اليسرى اليه، فتراجعت وقد انتبهت الى ان يده قد شفيت. لكنه عاد يتقدم منها شيئاً فشيئاً واحسّت بأن قلبها يخفق بسرعة وتركض دقاته تسابق الوقت والحقيقة.

وبينما تعلو الرعشة في اطرافها، تابع ماك اقترابه حتى التقطها ونزع المنشفة عنها، فصرخت:

ـ أعطني المنشفة ايها الوقح! ايها الجبان! اني اشعر بالبرد.

فسألها:

ـ الا تريدين ان ادفئك؟

وحين لاحظ صمتها قال لها بكل هدوء:

ـ اني امتّع نظري بما حجب عنه لمدة شهرين.

فقالت اوليفيا والحسد يزيد من بريق عينيها المتأججتين:

ـ ولكن أنيتا كانت دوماً الى جانبك، لتشبع نظرك وربما غرائزك أيضاً. انت لم تعد بحاجة الي بعد رجوعها. لذلك فضلت ان ابتعد عنك حين اكتشفت انك ما زلت تحبها.

فصرخ بها قائلاً:

ـ انت كاذبة! كاذبة! لا تجيدين غير الكذب! لقد تركتني لتعودي الى حبيبك السابق، ايتها الحقيرة!

فاجهشت اوليفيا بالبكاء وراحت تتمتم:

ـ انك مخطىء. ان دانيال ليس حبيباً لي، بل انه مجرّد صديق. وهو يأتي الى هنا بسبب الغرفة التي اورثته اياها خالتي. فهو مصور محترف وبحاجة الى غرفة مظلمة، يقوم فيها بالأعمال التي تستلزمها مهنته.

فضحك ماك ساخراً وقال لها:

ـ عذر أقبح من ذنب! وهل تريدينني ان اصدّق هذه الحماقات التي تردّدينها؟

لكن اوليفيا أوقفته عند حدّه وسألته:

ـ ماذا جئت تفعل هنا يا ماك؟

ظل صامتاً بضع لحظات ثم أجابها:

ـ لماذا جئت؟ لقد اتيت لاصطحبك معي. ولكن، بعد ان علمت بوجود دانيال، لم اعد أرغب في ذلك. لن اجرؤ على طلب ذلك

منك.

وبينما كان ماك يتكلم، انحنت اوليفيا الى الارض لتلتقط منشفتها، فأوقفها ثم حملها بالقوة.

حاولت ان تتخلّص منه لكنه كان أقوى منها وسيطر عليها وتوجّه بها الى غرفة النوم، دون ان يأبه لصراخها المتواصل:

ـ اتركني يا ماك! لا! لا! لا تفعل! اتركني! ابتعد عن طريقي! عد اليها!

لكن ماك لم يكن يبالي بما تقوله ورمى بها فوق السرير ثم التفت الى صورته المعلّقة فوقه وقال بسخرية:

ـ اهذا انا؟

ثم عانقها كما ينقضّ نمر شرس على طريدة ضعيفة. فصرخت:

ـ دعني يا ماك! ارجوك الا تفعل!

فردّ ضاحكاً:

ـ لم يكن هذا ما قلته ليلة زفافنا! اليس كذلك؟

ثم اخذها الى عالمه . . .

وحين استفاقت من حلمها الرائع، رأت ماك يرتدي ثيابه ويستعدّ للخروج فقالت:

ـ هل أنت ذاهب يا ماك؟

أجابها:

ـ لماذا تسألين؟ هل تودّين ان . . . أعني هل تريدينني ان ابقى؟

هل انت بحاجة الى المزيد من الحب؟

فردّت عليه بغضب:

ـ انك مخطىء بشأني. اني ما زلت احبك يا ماك. ولن احبَّ احداً سواك. انت، انت حياتي.

فنظر اليها نظرة لا مبالاة وقال:

ـ قولي ذلك للصورة المعلّقة فوق سريرك لا بل قوليه لحبيبك حين يأتي ويندس في فراشك هذا المساء.

وخرج.

٨ - حين كنا سوية . . .

بينما كانت اوليفيا تتصفح كعادتها جريدة الصباح، لفت نظرها، على الصفحة الأولى، صورة زوجها والى جانبه انيتا برامبلا، فانتابها شعور عارم لم يسبق لها ان عرفته من قبل. كان مزيجاً من الغيرة والحقد والانتقام. احست وكأنها تختنق من شدة دقات قلبها. رمت الجريدة على الأرض ثم اشعلت سيكارة علها تخفف من غضبها وتهدىء ثورة اعصابها. بعد قليل انحنت فلمت الجريدة وبشيء من العصبية والضغينة قرأت:

عودة الحبيبين ماكير كونال ديلاني وانيتا برامبلا بعد فراق طويل.

وبعد الفشل الذي عرفه كل منهما في زواجه.

في تلك اللحظة، كانت تتمنى لو تستطيع ان تمزق جميع الجرائد

التي نشرت الخبر. رمت الصحيفة من جديد وراحت تلعن الصحافة والناس، وتفكر ملياً في وضعها هذا.

وقبل ان تقدم على اية خطوة مجنونة قد تقضي نهائياً على حلمها الجميل، ترددت طويلاً. كانت تدرك في قرارة نفسها انها لن تتخلى عن ماكير لأن حبها له اقوى من الغيرة واقوى من الحقد. لذلك جلست تستعرض الحلول التي يمكن ان تتبناها لتنقذ زواجها. وبعد تفكير طويل. . . قررت ان تسافر الى لندن حيث مكتب فالتون هالينغر. ارادت ان تقابل مدير اعمال زوجها عله يرشدها الى مكانه.

قبل ان تغادر المنزل اطلعت دانيال على مشروعها، فحاول عبثاً اقناعها بأن تتراجع عنه وتمكث في البيت وتنتظر. فأجابته:

ـ لا! لن انتظر ان يأتيني الوقت بالحل المناسب. بل سوف اسعى وراءه مهما كلفني الأمر.

وعندما رأى دانيال عنادها واصرارها على السفر الى لندن قال:

ـ حسناً يا اوليفيا! افعلي ما تشائين وما ترينه مفيداً. لكني احذرك من مغبة هذه الزيارة واحذرك بشكل خاص من فالتون هالينغر بالذات.

طمأنته اوليفيا قائلة:

ـ لا تخف يا دانيال. لن ينجحوا ابداً في ابعاد زوجي عني. اني متأكدة من حبه لي ومن حبي له. ولذلك انا مصرة على رؤيته لاقناعه بالعودة الي.

فقال دانيال مودعاً:

- انك تعلمين منزلتك في قلبي. ان كل ما اتمناه لك هو السعادة حتى ولو كانت على حساب علاقتنا.

شكرته اوليفيا وراحت تعد نفسها للسفر الى عاصمة الضباب.

فور وصولها الى لندن، توجهت مباشرة الى مكتب فالتون. انتظرت بضع دقائق خارج المكتب قبل ان يستقبلها السيد هالنغر. ثم فتح الباب وخرج منه فالتون مبتسماً وقال:

- ما هذه المفاجأة السارة يا سيدة ديلاني. انه ليسعدني استقبالك في مكتبي المتواضع. ارجو ان تتفضلي بالدخول.

دخلت فأغلق الباب وراءها وجلس خلف مكتبه، وجلست اوليفيا على المقعد قبالته. قالت له:

- ان سرورك بمشاهدتي يا سيد فالتون لا يفوق سروري برؤيتك.

ثم ابتسمت ابتسامة ساخرة واضافت:

- لن آخذ الكثير من وقتك.

فأجابها:

- طبعاً لا! ولكن اية عاصفة حملتك الينا يا سيدة ديلاني؟

فأجابت اوليفيا بهدوء تام:

- ان الذي جاء بي الى هنا يا سيد هالنغر، هو حبي لزوجي وشوقي اليه. فأنا ابحث عنه اذ انه لم يترك لي عنواناً او رقم هاتف لاتصل به. وانا اكيدة من انك تعرف عنوانه وباستطاعتك ان ترشدني الى مكان وجوده.

فأجابها قائلاً:

- ولكنني في الوقت الحاضر، لا اعرف شيئاً عن مكان وجوده فهو...

فسألته اوليفيا بلهفة:

- اتعني انه خارج البلاد يا سيد فالتون؟ هل سافر الى بلد ما؟

اجابها:

- لا! لا اظن انه في الخارج.

كانت نبرة صوته تفقد هدوءها شيئاً فشيئاً، لذلك قالت اوليفيا غاضبة:

- اين تعتقد انه موجود؟ هل تحاول ان...

فأجابها:

- ارجوك يا سيدة ديلاني...

واشتد غضبها فصاحت به:

- تريدني ان اخرس امام كذبك ووقاحتك.

فصرخ فالتون بوجهها وقال:

- لا! لقد بالغت في...

فردت اوليفيا بجرأة توازي غضبه:

- اتسمي ذلك مبالغة... حين تبحث امرأة عن زوجها؟ انه زوجي يا سيد فالتون.

عند هذا الحد، فقد فالتون السيطرة على هدوئه وقال لها بكل وقاحة وجرأة:

- اسمعي جيداً يا سيدة اوليفيا. اكان زوجك ام عشيقك فلا فرق

عندي. ان كل ما يهمني هو ان ابعدك نهائياً عن ماكير. وسوف ابذل كل جهدي في سبيل تحقيق هدفي حتى ولو اضطرتني الظروف لاستعمال اقبح واشنع الوسائل. ان السيد ماكير قد شفي تماماً من الاصابة التي لحقت بذراعه اليسرى. وهو الآن يستعد للعودة الى العزف. لا تكوني انانية. . . فالجمهور بحاجة اليه كما هو بحاجة الى الموسيقى والفن. دعيه وشأنه. ان امامه سفراً طويلاً الى الخارج وقد يسافر عما قريب الى اوستراليا والولايات المتحدة وبلدان اخرى. لا اريد ان تقيديه كما لا اريد ان تقيده اية امرأة كانت. اريده حراً.

وهل يعتبر اوليفيا حجر عثرة امام مهنة ماكير كونال؟ هل ان وجودها الى جانبه، يمنعه عن العزف وعن الاهتمام بالموسيقى؟ لم تعد اوليفيا تدري ما تقوله او ما تجيب به لكنها اكتفت بقولها:

ـ ولكن يا سيد فالتن اذا تركته انا فلن تتركه الآنسة انيتا برامبلا.

فأجابها فالتون على الفور:

ـ دعك من انيتا. سوف اتولى امرها بنفسي.

كانت حدة غضبه قد خفت فأضاف بهدوء:

ـ والآن ارجو ان ترافقيني. اريد ان اريك شيئاً.

قام وخرج فلحقت به اوليفيا. وسارا باتجاه ردهة طويلة، وبعد ان قطعا بضعة امتار، توقفا في زاوية مظلمة. ثم رفع فالتون يده واشار بها الى الجهة المقابلة فنظرت اوليفيا الى حيث اشار لها ورأت زوجها يعانق انيتا. وبينما كانت الدهشة تمسح وجهها، امر فالتون احد المصورين الذي كان واقفاً عند اسفل السلم، ان يأخذ صورة لاوليفيا وهي تنظر الى زوجها وانيتا.

احسّت اوليفيا وكأن المشهد صفعة سقطت على خدها ايقظتها من حلم جميل واعادتها الى الواقع المؤلم المرير. فالتفتت الى فالتون باشمئزاز وقالت له:

ـ يا لك من . . . حقير! ايها الكاذب اللعين! كان ماك هنا طوال الوقت ولم تخبرني بوجوده!

وامام شدة غضبها، احس فالتون بانها قد تنقض عليه وتمزق وجهه باظافرها. فقال لها بشيء من الخوف:

ـ ولكن! ولكن السيد ديلاني هو الذي طلب مني ان اقابلك. واصر ان اخفي عليك مكان وجوده.

فحدقت اوليفيا في عينيه وتمنت في تلك الساعة لو انها تملك خنجراً تغمده في صدره، ثم قالت:

ـ طبعاً! لا شك ان السيد ديلاني هو الذي امر وانت اطعت الأوامر.

فتجاهل فالتون غضبها وقال:

ـ كل ما يمكنني قوله هو ان السيد ديلاني يعد نفسه لحفلة عزف قريباً جداً. سوف يحييها على المسرح الملكي بعد حوالى ثلاثة اسابيع.

كانت نار الحقد متأججة في قلب اوليفيا فردت بعنف:

ـ سوف انتقم منك يا سيد فالتون ومن هذه المرأة اللعينة انيتا، سوف انتقم منكم جميعاً.

وغادرت المكتب والحزن يحطم قلبها.

عادت الى منزلها خائبة الأمل وكانت يائسة حتى انها فكرت بأن

تضع حداً لحياتها التعيسة.

وفي صباح اليوم التالي، اتصلت بدانيال وطلبت منه ان يأتي علّه يخفف من حزنها. ولبى دعوتها بسرعة. وفور وصوله اطلعته على نتائج سفرها فقال:

ـ الم احذرك يا عزيزتي؟ اريدك ان تنسي ما حصل.

وردد مرة اخرى:

ـ اريدك ان تنسيه. ليتك تنسيه يا اوليفيا الى الأبد.

فجالت بنظرها في ابعاد الغرفة وكأنها تبحث عن شيء. وقالت والضياع يقطع صوتها:

ـ انسى! انسى! كيف انسى من علمني معنى الحب الحقيقي ومعنى السعادة؟ كيف انسى من ارشدني الى طريق الحياة؟

فأخذ دانيال يدها وراح يداعب اناملها وقال:

ـ سوف احاول ان اشتري بطاقات لتحضر الحفلة. اعدك انني سوف افعل ذلك من اجل ان تعود البسمة الى شفتيك الجميلتين.

ومرت الاسابيع الثلاثة لم تعرف فيها اوليفيا طعم النوم او الراحة. لم يتوقف ذهنها عن التفكير والتحليل. وحين حل موعد الحفلة، اصطحبها دانيال الى صالة المهرجانات الدولية في المسرح الملكي حيث كان من المقرر ان يعزف ماكير بعد غياب طويل.

كانت الصالة تغص بجمهور كبير جاء من مختلف انحاء البلاد للاستماع الى العازف الشهير... الى العازف الذي تشوق لرؤيته من جديد.

فجأة غمر الصمت الصالة المليئة، فالتفت الجميع الى المسرح

المقابل ورأوا ان الستار بدأ يرتفع شيئاً فشيئاً. كانت آلة البيانو في وسط المسرح تنتظر وصول سيدها الذي ظهر بعد دقائق وجلس اليها بعد ان حياه الجمهور بتصفيق حار وطويل.

شعرت اوليفيا ان الناس يصفقون لها... يصفقون للرجل الذي اصبح جزءاً لا يتجزأ من كيانها.

ثم انتظر ماكير حتى انتهى التصفيق فرفع يديه واستعد للعزف. راحت انامله تداعب البيانو وتعزف قطعة لأحد اشهر مؤلفي الموسيقى... موزار.

كان عزفه اجمل من الماضي. كان اشبه بنسيم عليل يلفح وجه صبية فاتنة تركض وراء الفراشات وتلملم عبير الأزهار... تهيم حالمة لتلتقط اشعة قوس قزح وتخيط منها ثوباً ترتديه قبل لقائها بحبيبها.

في تلك اللحظة شعرت اوليفيا انها هي تلك الصبية العاشقة. وقد علت صهوة جواد الأوهام وسافرت الى بلاد سحرية حيث جمعتها الذكريات بحبيبها ماك.

كانت تتذكر الأيام السعيدة القليلة التي قضتها الى جانب زوجها. وما زالت نار الحب تضطرم في اعماقها والحنين يختلج في كل خلية من خلاياها.

وفيما هي تحلم، ناداها دانيال قائلاً:

ـ اوليفيا! اوليفيا! هل تشعرين بأي سوء؟

اجابت بعد هنيهة:

ـ لا! اني بحالة جيدة! اعتذر عن شرودي. كنت افكر.

لم يطلب دانيال منها اعتذاراً فقال:
ـ اردت فقط ان انبهك الى ان موعد الاستراحة قد حان. يمكننا الخروج قليلاً اذا شئت واني ارغب في فنجان قهوة. وانت كذلك؟
فأجابت اوليفيا برجاء:
ـ اني في الحقيقة يا دانيال. ارغب في... ارغب في...
وسرعان ما قال لها دانيال:
ـ اعلم انك ترغبين في مقابلته. ولكن من المستحيل ان...
اقصد انك يا اوليفيا لن تستطيعي.
تشجعت عندها وقالت:
ـ ارجوك يا دانيال ان تساعدني. اريد ان اراه ولا بد من ذلك. كما اني اريدك ان ترافقني.
واصر دانيال على موقفه. قال:
ـ ولكن لا يحق لأي كان ان يقابله الآن. فلقد اتخذت تدابير واجراءات مشددة بهذا الخصوص.
فأجابت والكلمات تذوب على شفتيها من كثرة الشوق المتأجج في داخلها:
ـ انسيت اني زوجته؟ لن يمنعني احد من مقابلة زوجي.
فرضخ دانيال للأمر الواقع وقال:
ـ حسناً! ان كنت ترغبين بذلك! هيا بنا.
غمرت الفرحة قلب اوليفيا وطبعت قبلة شكر وامتنان على خد صديقها الوفي. واتجها معاً الى الغرفة التي كان ديلاني يستريح فيها قبل ان يعود للعزف. وبعد ان اجتازا الممر الأول وقطعا حواجز

عديدة، بقي امامهما حاجز واحد هو حارس غرفة السيد ماكير كونال ديلاني الشخصي. استوقفهما الحارس قائلاً:
ـ الى اين من فضلكما؟
لكن اوليفيا لم تبال بسؤاله واقتربت من باب الغرفة فتقدم منها الحارس وسألها من جديد:
ـ الى اين يا سيدة؟ لا يحق للجمهور ان يدخل الى غرفة السيد ديلاني. ولا يمكن لأي شخص ان يقابله اذا لم يحمل تصريحاً موقعاً بذلك.
فالتفتت اوليفيا الى الشاب الوسيم وابتسمت ثم قالت له:
ـ ولكني لست من الجمهور ولست اياً كان ايها الشاب. اني زوجة السيد ماكير. وانا اصر على مقابلته لأمر عاجل وضروري يتعلق به شخصياً. ارجو ان تدعني ادخل.
حين ادرك الحارس صدق ما تقوله، قال لها:
ـ حسناً اتبعيني من فضلك.
فلحقت بالحارس الذي رجا دانيال بالبقاء خارجاً وطرق على باب احدى الغرف. ثم دخل اليها وسمعته يقول:
ـ في الخارج يا سيدي سيدة تدعي انها زوجتك وهي تصر على مقابلتك شخصياً.
فعلا صوت ديلاني قائلاً:
ـ دعها تدخل يا سندي. انها حقاً زوجتي. اشكرك لأنك ارشدتها الى مكان وجودي.
فخرج الحارس ودعا اوليفيا للدخول. ففعلت. لحظات ووجدت

نفسها امام زوجها الذي كان يقف قرب نافذة تطل على الباحة الخارجية.

لم يدعها تنطق بكلمة واحدة حتى انه لم يلق عليها التحية ولم يرحب بها بل اكتفى بالقول:

ـ لماذا كنت مصرة على مقابلتي؟ ما هو المرسال المستعجل الذي تحملينه الي؟

فقالت اوليفيا بهدوء:

ـ اريد ان اهنئك قبل كل شيء، فلقد كان عزفك رائعاً ثم اني، اني...

فقال ماك بصوت حازم:

ـ ارجو ان تسرعي وتقولي ما لديك فأنا على عجلة من امري. فوقت الاستراحة قد ينتهي بعد لحظات.

لم تدر من اين تبدأ فسألته:

ـ اتذكر يا ماك اليوم الذي زرتني فيه آخر مرة؟ الم تقل حينها انك تريدني ان اعود معك؟ اني يا ماك اريد ذلك من كل قلبي، انا... اريد ان ابقى بقربك واعيش الى جانبك كل حياتي المقبلة.

لم تكن تتصور انه سوف يضمها الى صدره بهذه السرعة ولم يخف اندهاشها حين راح يقبلها بشوق وحرارة.

لكنه ابعدها عنه فجأة. وارتسمت على شفتيه بسمة سخرية وقال:

ـ انا آسف يا عزيزتي. ولكني لم اعد بحاجة اليك ولا الى وجودك بقربي،

ولشدة دهشتها التزمت اوليفيا الصمت ولم تجد اية كلمة تقولها فتابع كلامه وسألها:

ـ هل جئت بمفردك؟

لم تكن تريد ان تذكر اسم دانيال امامه فأجابت قائلة:

ـ اجل لقد جئت بمفردي.

عندئذ دخلت انيتا وكأنها كانت تستمع الى الحوار بأكمله وقالت لماك:

ـ لا تصدقها يا ماك. انها تكذب. لقد رأيت رجلاً يرافقها الى هنا. وهو بانتظارها في الخارج. اظن ان اسمه دانيال.

فالتفت ديلاني بغضب الى زوجته وقال بنبرة قاسية:

ـ اخرجي ايتها الكاذبة! اخرجي فوراً من غرفتي! هيا!

ولكن اوليفيا احتجت قائلة:

ـ ولكن يا ماك، دعني اشرح لك الأمر.

لكنه راح يدفعها الى الخارج وكأنه يطرد كلبه راف من غرفته وصاح في وجهها:

ـ امرتك بالخروج فوراً فإن لم تفعلي، سوف اخرجك بالقوة.

وعلى الفور خرجت اوليفيا وارتمت بين ذراعي دانيال الذي كان ينتظرها. وراحت تبكي على كتفه. ولاحظت ان حشداً من الصحافيين قد احاط بهما وراح يأخذ الصور ويطرح الاسئلة. فحاول دانيال ابعادهم وهو يمسك بيد اوليفيا ويجرها وراءه. وحين تخلصا من عدسات المصورين، لم يكن اي منهما يرغب في حضور القسم الثاني من الحفلة الموسيقية. فاستقلا السيارة ورجعا الى المنزل.

وحين وصلا اليه دعت اوليفيا دانيال للدخول. لكنه رفض ازعاجها وتفهم رغبتها في الانفراد فقبلها وقال:

ـ كلانا بحاجة الى الراحة هذه الليلة. افضل ان اذهب الى البيت. انتظريني غداً، سوف نتناول معاً طعام الفطور.

فقالت له:

ـ حسناً! اني بانتظارك. اني آسفة على هذه الأمسية التي قضيتها معي. دانيال! لا تنس ان تأتيني بالجريدة يوم غد.

وعدها بألا ينسى ذلك وسار نحو بيته المجاور بينما سارت اوليفيا نحو غرفتها ورمت بنفسها فوق السرير لتخنق صوتها الصارخ ودموعها الجارفة.

لم تستطع ان تنام فسهرت مع الليل وظلمته. وراحت تحدثه وتردد كلمات اغنية تحبها...

ـ حين كنا سوية، كان صوته في الليل يقول لي وانا استمع الى همسه... احبك، احبك حتى تقع نجوم الليل نجمة، نجمة. ولكن الحب انتهى وسكت الصوت ولم تقع اية نجمة. فالكلام كلام والأحلام احلام وتبقى الأيام اياماً تجرف معها امانينا.

ثم قامت عن سريرها فحدقت بالمرآة ورأت وجهها المضطرب. بدت شبيهة بمجنونة، نسيت من تكون ونسيت نفسها الحقيقية. ودنت من الصورة المعلقة على الجدار وراحت تقول وكأنها تحدث ماك:

ـ لماذا فعلت بي هذا؟ هل استحق كل هذا العذاب؟ انا التي انقذتك واعدتك الى الحياة!

ثم اجهشت بالبكاء وظلت تبكي حتى استسلمت للرقاد.

في صباح اليوم التالي، استفاقت على دقات الباب، فاسرعت لتفتحه. واذا بدانيال يقول:

ـ صباح الخير يا سيدتي الجميلة. صباح الجمال و...

توقف ثم تابع قائلاً:

ـ ولكن ما بالك؟ هل كنت لا تزالين نائمة؟ انك حقاً كسولة، لقد قاربت الساعة العاشرة. هل نسيت انك دعوتني لطعام الفطور؟

فقالت اوليفيا وهي تطلق ضحكة:

ـ تقصد انك انت الذي دعوت نفسك لطعام الفطور.

اخذا يضحكان وسارا نحو المطبخ حيث راحت اوليفيا تعد الطعام ثم سألته:

ـ بالمناسبة هل اشتريت لي جريدة الصباح؟

فأجابها قائلاً:

ـ طبعاً! ولكني لم اقرأها بعد. على كل حال، سوف اطلعك على عنوانها. اما انت فعليك ان تهتمي بالطعام اذ انني اشعر بجوع شديد.

وبينما اوليفيا تعد طعام الفطور، راح دانيال يقرأ لها العناوين ثم توقف عند احدها وحاول ان يقلب الصفحة. لكن اوليفيا انتبهت الى ذلك وسألت:

ـ ما بالك يا دانيال، توقفت فجأة؟ هل نسيت خبراً؟

فأجاب بارتباك:

ـ انه، انه خبر سخيف، لا يهمنا ابداً.

فقالت اوليفيا:

ـ ولكني احب الأمور السخيفة. هيا اقرأه لي.

لم يفعل دانيال ما طلبته منه. فنزعت الجريدة من يده وقرأت العنوان «السخيف». ولكن سخافته ازعجتها كثيراً خصوصاً عندما رأت الصورة التي نشرت تحت العنوان. وقد ظهر فيها دانيال وهو يعانقها وماكير يعانق انيتا. كان القسم الأول من الصورة مأخوذاً يوم الحفلة، حين طردها ماكير من غرفته ولجأت الى دانيال المنتظر في الخارج. اما القسم الثاني منها، فقد اخذ يوم قصدت اوليفيا مكتب فالتون في لندن ودعاها الى الردهة حيث اشار بيده الى انيتا وهي تغادر المكان برفقة ماكير.

عندها التفتت اوليفيا الى دانيال واعتذرت منه قائلة:

ـ اني آسفة يا دانيال. لم اكن ابغي توريطك في مشاكلي.

فاقترب منها دانيال وقال:

ـ ارجوك الا تعتذري. فانني لا اكترث الى ما ترويه الصحافة من سخافات. وكل ما يحاولون فعله هو تحطيمك. ولكني لن اسمح لهم بذلك. لا تخافي يا حبيبتي، اني دوماً الى جانبك، ولن اتركك ابداً.

كم تمنت لو كان هو الذي يقول ما قاله دانيال. ولكن الآمال لا تتحقق دائماً بسهولة.

فجأة رن جرس الهاتف فاخذت اوليفيا السماعة وارتعشت حين سمعت صوت انيتا يقول:

ـ اسمعيني جيداً يا سيدة اوليفيا. اياك ان تحاولي رؤية ماكير! اني

اهددك. واعتقد انك قرأت جريدة اليوم. فان كنت تهتمين بالمحافظة على سمعة ماكير، ما عليك الا ان تبتعدي عن طريقه. والا فاني، في المرة القادمة، سوف انشر في الصحف قصة لقائك الأول به.. كيف كان في حالة يرثى لها واجبرك على الزواج منه.. سوف تصدق الصحف كل ما اقوله فاياك ثم اياك ان تحاولي رؤيته من جديد.

توقفت انيتا عن الكلام قليلاً واضافت:

ـ قد لا اكون احب ماكير بقدر ما تحبينه انت ولكني اريده لي، ولي انا وحدي، افهمت!؟

واقفلت السماعة دون ان تترك لاوليفيا مجالاً للرد. فعادت الى المطبخ حيث كان دانيال قد اعد المائدة وجلس اليها. فقالت له:

ـ اعتذر يا دانيال. كانت مجرد مكالمة سخيفة مثل العنوان السخيف الذي نشرته الصحف.

وما ان انتهيا من تناول الفطور حتى غادر دانيال المنزل وهو يقول:

ـ لدي بعض الأعمال. سوف امر بك بعد الظهر.

وفور خروجه اتصلت اوليفيا بالصحافي بيتر ايفنس وقالت له بعد ان قدمت نفسها:

ـ ارجوك يا بيتر ان تساعدني. اريد ان انتقل الى المزرعة. وعليك ان تهتم باعادة ترميمها. اني املك ما يكفي من المال لذلك.

فأجابها قائلاً:

ـ حسناً! سوف اساعدك. ان لوالدي خبرة كبيرة في هذا المجال وسوف اجعله يهتم بالأمر.

فعادت اوليفيا لتضيف:

ـ سوف اطلب منك طلباً اخر يا بيتر. اني اريدك ان تنشر القصة التي سوف اخبرك بها. ان انيتا وفالتون يهددانني باستمرار. وقد قالت لي اني اذا لم اكف عن ملاحقة ومقابلة زوجي فسوف تنشر قصة تسيء الى سمعته. لذلك اريدك ان تنشر قصتي قبل ان تفعل هي وقبل ان يفوت الأوان.

ـ حسناً! اعدك بذلك يا سيدة ديلاني.

وعندما انتهت من حديثها مع الصحفي، اتصلت بمنزل زوجها. وحين رد بنفسه على التلفون، قالت له بارتباك:

ـ اريد ان اتحدث الى السيدة فابر، من فضلك. اني اريدها ان تحزم ما تبقى لي من اغراض كي امر وآخذها.

فأجابها ماكير بلهجة هازئة:

ـ اذن انت تستعدين للانفصال النهائي عني. هل شجعك صديقك دانيال على القيام بهذه الخطوة الجريئة؟

واضاف بعد ان ضحك:

ـ كيف تدعين انك تحبينني وانت تتركيني بهذه السهولة؟

فقالت بغضب:

ـ ماذا ينفع حبي لك وانت تحب امرأة اخرى؟ ارجوك، اريد ان اتحدث الى السيدة فابر.

فطمأنها بلهجة ساخرة:

ـ لا تخافي. سوف تتحدثين اليها، يا عزيزتي. وعندما تحضرين لتأخذي امتعتك، لن تجديني هنا لأني ذاهب، اعني مسافر الى امستردام وباريس وميونيخ...

فسألته بارتباك وقلق:

ـ كم ستدوم رحلتك يا ماك؟

اجابها بكل هدوء:

ـ طويلاً! الوداع!

ثم نادى على السيدة فابر لتتحدث الى اوليفيا.

وبعد ان انتهت من كلامها، استقلت اوليفيا سيارتها وقصدت منزل ماكير لكي تستعيد اغراضها. وعندما انتهت من مهمتها، ودعت السيدة فابر والدموع في عينيها واتجهت الى سيارتها حيث وجدت راف بانتظارها على المقعد الخلفي. فقالت لنفسها وللسيدة فابر:

ـ ولكني لا استطيع ان اصطحبه معي. قد يغضب ذلك السيد ماك. لا استطيع.

لكن السيدة فابر اصرت عليها ان تصطحب راف وقالت:

ـ لن يرجع السيد ماك الا بعد مدة طويلة. وراف الآن بحاجة الى من يعتني به ومن يحبه.

فقبلت اوليفيا واجابت بعد تردد:

ـ حسناً سوف يبقى معي. وحين يعود السيد ماك من سفره، لن يجده ولن يجدني ابداً. تكون قد رحلنا سوية الى مكان يجهله تماماً.

بعد ان قالت اوليفيا ذلك . . . ادارت محرك سيارتها ورحلت.

٩ - حفلة استرداد

ومن جديد انطلقت اوليفيا من الجنوب نحو الشمال، باتجاه مقاطعة . . . قصدتها للمرة الأولى منذ ثلاثة اشهر تقريباً.

وكان شهر آذار ينذر بالمطر والعواصف آنذاك، ويلف الضباب المنطقة فيحجب عنها نور الشمس.

اما اليوم فان رحلتها الثانية تختلف تماماً عن الأولى. فقد بدأ شهر حزيران ولملم المطر خيوطه وهدأت العواصف والرياح.

وبالرغم من ان درجة الحرارة مرتفعة فالغيوم الداكنة لا تزال متلبدة في السماء.

حين اقتربت السيارة من المزرعة، اخرج راف رأسه من نافذة المقعد الخلفي وراح ينبح معبراً عن فرحته بالرجوع.

كان في المزرعة بضعة عمال يعملون على ترميمها وبعضهم يركب النوافذ والبعض الآخر يهتم بالهندسة الداخلية.

ثم تقدم من اوليفيا رجل هرم تأكدت انه والد بيتر ايفنس فقالت له:

ـ مرحباً يا سيد ايفنس.

ـ اهلاً وسهلاً يا سيدة ديلاني. لقد جئت باكراً. ما زال عندنا بعض الأعمال نقوم باتمامها.

فأجابته مبتسمة:

ـ اعرف ذلك جيداً يا سيد ايفنس لكني لم اعد احتمل الانتظار. لا بأس، لن ابارح غرفتي قبل ان تنتهوا من العمل. هل يوافقك ذلك؟

فقال معتذراً:

ـ ولكني يا سيدة ديلاني لم اقصد ذلك. كنت على العكس، اخشى ان يزعجك الضجيج. يسعدنا كثيراً بقاؤك معنا واشرافك على العمل.

فشكرته قائلة:

ـ شكراً يا سيد ايفنس. ارجو ان ينتهي العمل في هذه الورشة في اقرب وقت ممكن.

فطمأنها قائلاً:

ـ تأكدي يا سيدة ديلاني انها مسألة ايام قليلة!

بعدها تعرفت على المهندس الذي يشرف على عمل الترميم فقدم لها نفسه قائلاً:

ـ اسمي بيشوب. اني متعهد البناء والمهندس المشرف عليه. لقد ابرمت عقداً مع السيد بيتر ايفنس بناء على طلبك على ما اعتقد.

فهزت رأسها وقالت:

ـ اني على علم به.

ثم سألته:

ـ ارجو ان يكون العمل سائراً على وجه حسن. هل ثمة مشكلة تعترضكم؟

قال مجيباً:

ـ لا! لا توجد اية مشكلة يا سيدة ديلاني. الا ان البيت بحاجة الى اثاث ومفروشات. اعني...

فقاطعته اوليفيا:

ـ اعرف ما تعنيه. بالطبع سوف نشتري الاثاث الضروري لا سيما انه سوف يكون منزلاً لي، اقطن فيه باقي ايام حياتي. المهم انه بدأ يتخذ، من الخارج، شكل منزل على الأقل.

وضحك الاثنان على ملاحظة اوليفيا التي اضافت قائلة:

ـ سوف اشتري المفروشات فور انتهائكم من الترميم.

فأجابها المهندس:

ـ سوف ننتهي منه هذا الاسبوع ان شاء الله وتجعله يليق بملكة او اميرة.

ثم سألها السيد ايفنس قائلاً:

ـ ان المنزل يلزمه الكثير من الاثاث. وقد يكلفك ذلك غالياً. اعتذر عن فضولي. ولكني اردت فقط ان اطلعك على الأمر.

فشكرته اوليفيا وقالت:

ـ لا تشغل بالك من هذه الناحية. لقد ماتت خالتي وتركت لي...

وقاطعها السيد ايفنس:

ـ لقد اخبرني ابني بيتر ولكني اردت ان اطلعك على الأمر فقط.

ثم ابتسم وتابع كلامه وفي عينيه بعض الكبرياء:

ـ تعالي لأريك المطبخ الذي صممته.

وحين دخلا اليه قال:

ـ الا يعجبك؟ انظري الى الجدران، ان ورقها جميل وقابل للغسيل.

كان السيد ايفنس فرحاً جداً بالمطبخ الجديد الذي صممه ويشبه في فرحه طفلاً انتهى من رسم صورة امه.

ابتسمت اوليفيا للعجوز وقالت:

ـ انه جميل جداً. هل اخترت كل ذلك بنفسك؟

سكت لحظة ثم قال:

ـ في الحقيقة ان زوجتي هي التي اختارت الألوان ولكني انا الذي اخترت النوعية والجودة.

ردت اوليفيا:

ـ شكراً لك ولزوجتك اللطيفة.

ثم التفتت الى السيد بيشوب وقالت:

ـ لا اعرف كيف اشكركم جميعاً يا سيد بيشوب.

فقال ايفنس:

ـ الفضل يعود لك يا سيدة ديلاني. اذ لم يفكر احد في اعادة تشييد هذه المزرعة المهجورة. انك حقاً جديرة بامتلاكها فقد اهملتها عائلة آترلاي بعد ان ماتت الزوجة وتشتت الأولاد كل منهم في بقعة من هذه الأرض الطيبة.

فجأة سمع صوت محرك سيارة في الخارج. فأسرعت اوليفيا الى الباب الذي كان مفتوحاً لتستقبل الزائر المجهول. وشاهدت الصحفي بيتر ايفنس الذي حياها قائلاً:

ـ مرحباً يا سيدة اوليفيا! ما هذه المفاجأة السارة! منذ متى وصلت الى المزرعة؟ وراف ايضاً معك!

فنبح راف وكأنه يلقي التحية على الزائر الجديد، وقالت اوليفيا:

ـ وصلت منذ وقت قليل. ما الذي جاء بك الى هنا؟ هل تحمل رسالة الى والدك؟

فأجابها قائلاً:

ـ لا! لقد اتيت لأقابلك انت بالذات والرسالة التي احملها تخصك انت. لقد اتصلت بك في المنزل ولكنك لم تجيبي فقلت لنفسي انك ربما اتيت الى المزرعة وكنت على صواب.

توقف قليلاً ثم اضاف:

ـ جئت اطلعك على المقال. اريدك ان تقرأي القصة التي رويتها لي البارحة على التلفون.

عندها قاطعها والد بيتر قائلاً:

- يمكنكما البقاء في المطبخ فهو نظيف.

وبعد ان قبلا دعوة العجوز، اخرج بيتر من حقيبته ثلاث اوراق وضعها على الطاولة وشرع يقرأها على مسمع اوليفيا.

ثم قال بيتر:

- ارجو ان تكون القصة مطابقة لما قلته لي البارحة. فلم اشأ ان تطول المكالمة الهاتفية نظراً للتكاليف وثمن الاتصالات باهظ وكنت اخشى ان. . . .

فقالت اوليفيا:

- لا يجب ان تخشى شيئاً يا بيتر فانا. . .

اكمل عنها قائلاً:

- اعرف ان خالتك الثرية تركت لك كل ثروتها. ولكني اردت ان اقول ان قصتك كانت قصة حب على ما اعتقد، ولم اشأ ان تكون للقصة. . .

توقف قليلاً ونظر اليها ثم تابع كلامه:

- لم اشأ ان تكون نهايتها نهاية حزينة ومؤلمة بل اردتها ان تكون سعيدة. لنقل اني لم اشأ ان تكون للقصة اية نهاية.

ثم حدق في عينيها وسألها:

- لا اظن ان هذه القصة انتهت، أليس كذلك يا سيدة اوليفيا؟

فحدقت اوليفيا في الأوراق التي تروي حكاية حبها وقالت ونبرة من الحزن تمسح صوتها:

- ان لم تنته الآن فسوف تنتهي حتماً عما قريب.

اخذ بيتر يدها وشد عليها ثم قال:

- هيا ابتسمي. ان الحزن يخفي جمال عينيك.

واضاف:

- هل تعتقدين انني قد ادع شيئاً من هذا القبيل يهدد الزواج الذي كنت احد شهوده، وكأنني مجرد متفرج على فيلم انتهت احدى حلقاته؟ اقرأي يا سيدة ديلاني ما كتب على هذه الصفحة.

فنظرت اليه وقالت:

- ارجو ان تناديني اوليفيا.

ثم اخذت تقرأ الكلمات التي خطتها يد بيتر ايفنس. وبدأت القصة منذ اليوم الذي ضاعت فيه اوليفيا في الضباب، حين توقف محرك سيارتها في قلب مقاطعة يوركشاير، يوم راحت تبحث فيه عن مكان يؤويها ريثما تهدأ العاصفة ويضمحل الليل. وتروي كيف رأت الضوء من بعيد وكأنه سراب تنسجه خيالها. ولكنها حين سمعت نباح كلب قريب، سارت باتجاه الضوء ودقت على الباب الذي يتسرب منه. وتحدثت القصة عن الرجل الذي كان يسكن في هذه المزرعة وعن الأكاذيب التي ذكرها بشأن جرائمه وسرقاته، ليخيف الزائرة الغريبة التي ازعجت وحدته وانفراده. وكيف خافت الزائرة من تهديداته للوهلة الأولى.

ولكن شعوراً غريباً في داخلها بدد خوفها واحست، منذ اول لحظة كلمها فيها، انها تحبه وتميل اليه كثيراً. كان حبها له حباً من النظرة الأولى.

وتابعت اوليفيا المقال الذي كتب. . .

- شعرت ان هذا الرجل يختلف عن كل الناس الذين ربطتني بهم علاقة سطحية او بمجرد صداقة. اما هو فكانت علاقتي به تختلف تماماً.

كانت حالته الصحية سيئة بسبب المرض. لقد اعتنيت به وسهرت الليالي قرب سريره حتى تحسنت صحته. وحين طلب يدي للزواج، لم تصدق اذناي ما سمعته. وكان ذلك اليوم اسعد ايام حياتي.

وكتب المقطع الأخير من المقال:

- وكان حبي له يزداد يوماً عن يوم فكنت احبه حباً كبيراً وما زلت.

عندئذ نظر بيتر اليها وقال:

- كيف وجدته؟ هل اعجبك المقال؟

اجابته:

- اني لا ادري كيف اشكرك يا بيتر.

- انني اقوم بواجبي، انسيت انني شاهد على زفافكما؟ لذلك سوف ابذل جهدي للمحافظة على هذا الزواج. لقد حاولوا ان يهددوك ولكن هذا المقال اقوى من تهديدهم ومن سلاحهم الحقير. اني احاول ان اتصور وقعه عليهم.

ضحك الاثنان وسمعت اصداء ضحكاتهما من الخارج. فوافاهم والد بيتر الى المطبخ وسأل:

- هل انتهيت من صنع القهوة يا سيدة اوليفيا؟

فاعتذرت وقامت تعدها لهم. وبعد ان شربوا القهوة، قال

بيشوب:

- اني اعتذر يا سيدة ديلاني. يجب ان اذهب فلدي بعض الأمور اسويها. الى اللقاء.

فودعه الجميع وخرج.

ثم رمق السيد ايفنس ابنه بنظرة استفهام وسأله:

- هل حدثت السيدة ديلاني عن هذه الأمسية؟

فأجابه بيتر:

- لا يا ابي، لم افعل بعد. ولكني لم انس ذلك.

والتفت بيتر الى اوليفيا فقال لها:

- اني باسم عائلة ايفنس ادعوك الى سهرة في منزلنا هذه الليلة، حيث تعد والدتي طعام العشاء على شرفك.

فسألت اوليفيا بابتسامة:

- وما المناسبة يا سيد ايفنس؟

اجابها الابن:

- سوف يقدم التلفزيون برنامجاً شيقاً، ارجو ان تشاهديه معنا. وهو عن عازف شهير من بلادنا، يعزف اليوم في امستردام. وان التلفزيون ينقله مباشرة من امستردام عبر الاقمار الاصطناعية.

فهتفت اوليفيا قائلة:

- اتعني ماكيرا؟

فاستفسر بيتر:

- هل تحبين مشاهدته؟

قالت والدموع تملأ عينيها:

ـ اوه! ارجوك يا بيتر. . .

فاقترب منها وقال:

ـ اذن ما عليك الا ان تحضري في المساء عند الساعة السابعة والنصف تقريباً، فالبرنامج يبدأ تمام الساعة الثامنة.

ثم اضاف قائلاً:

ـ سوف اذهب الآن لأكمال هذا المقال، اقصد ان اضع عليه اللمسات الأخيرة قبل ان اسلمه الى المطبعة. سوف ينشر خلال يومين على الاكثر.

لكن اوليفيا كانت خائفة من ردة الفعل التي قد تنتج عن نشر هذه القصة فقالت له:

ـ اني خائفة يا بيتر. لا احد يعرف مكان وجودي الا انت. ارجوك ان لا تعطي عنواني لأحد حتى ولو طلبه منك ديلاني.

لكنه طمأنها قائلاً بشيء من السخرية:

ـ لا تخافي، لن اخبر احداً عن مكان وجودك ولكنني اخشى فضول الصحافيين الذين قد يهتدون اليك. ولكني اعدك بمعالجة الأمر. لا تخافي فأنا بجانبك.

فشكرته اوليفيا وقالت:

ـ سوف نلتقي عند المساء في منزلك.

بعد ان ذهب العمال، بقيت وحدها في المنزل. وحين بلغت الساعة السادسة اسرعت فارتدت ثوباً ابيض يشبه فستان زفافها.

وتوجهت الى منزل بيتر.

كانت دقاتها على الباب تمتزج بدقات قلبها. واحست رغم بعده عنها بانها ستلتقيه بعد لحظات فالساعة ستبلغ الثامنة بعد عشر دقائق.

وبعد ان تعرفت على السيدة ايفنس، اتجه الجميع الى غرفة الجلوس حيث كانت المذيعة تعلن موعد افتتاح الحفلة الموسيقية ونقلها مباشرة من امستردام ارضاء لجمهور ماكير كونال ديلاني الكبير.

حين رأت اوليفيا صورة زوجها احست بأن لقلبها اجنحة طارت بها اليه. ولم تعد تشعر بالمسافات التي تفصل بينهما. واحست انها بالقرب منه، تعزف معه انشودة الحب. واتحدت يداها بيديه وهما تداعبان البيانو وسرت في عروقها نشوة.

كانت عائلة ايفنس تنظر تارة الى العازف الماهر وطوراً الى الحبيبة العاشقة. وحين انتهى العزف، عاد الطائر الحزين الى عشه وطوى اجنحته المتكسرة.

حطمت السيدة ايفنس طوق الصمت وقالت لاوليفيا:

ـ انه عازف ماهر يا سيدة ديلاني. اني فخورة جداً بان تكونا في جيرتنا.

شكرتها اوليفيا وعيناها شاخصتان الى زوجها الذي وقف لينحني مرتين امام الجمهور الذي كان يردد اسمه بالهتاف:

ـ دي. لا! ني! دي. لا. ني! دي. لا. ني!

لكن لم يعد بوسعها ان تسمع فرفعت يديها ووضعتهما على اذنيها

كي تحجب الصوت. ثم اغمضت عينيها لتنسى صورته وتخفف من الألم الذي افعم قلبها.

وعلى الفور ادرك بيتر حقيقة ما تشعر به اوليفيا فقام واطفأ جهاز التلفزيون وقال:

ـ اني اشعر بالجوع، هيا بنا الى المائدة! هل انت جائعة يا اوليفيا؟

هزها صوته وكأنه ايقظها من حلم فأفاقت منه رغماً عنها. لم تكن تشعر برغبة في تناول اي طعام ولكنها لا تستطيع ان تخيب عائلة ايفنس بعد ان عاملوها وكأنها واحدة من افراد الأسرة.

جلسوا الى المائدة فحاولت اوليفيا ان تأكل قدر المستطاع من طعام السيدة ايفنس التي سألتها بعد وقت قصير:

ـ الم يصب زوجك في ذراعه خلال حادث سيارة على ما اذكر؟

اجابتها اوليفيا بشيء من الانزعاج:

ـ اجل، ولكنها شفيت تماماً، والحمدلله.

ثم توقفت قليلاً واضافت:

ـ اني اشكركم على هذه الأمسية الجميلة. سوف اذهب الآن لأني متعبة. ارجو ان تعذروني.

وقامت لتخرج وقد تفهم الجميع شعورها. ورافقها بيتر الى منزلها لأن الساعة كانت قد قاربت الحادية عشرة ليلاً.

دخلت المنزل ولم تجد فيه غير العتمة ورواف الذي كان ينتظرها امام باب غرفتها. توجهت مباشرة الى الحمام لتغتسل علّ المياه تزيل عنها

الكآبة. ثم تمددت على السرير واشعلت سيكارة.

وراحت الذكريات تعبر خيالها. تذكرت الليالي القليلة التي قضياها على هذا السرير. كان صوته ما زال يهمس في اذنيها وفمها ما زال يذكر طعم شفتيه... ليتها كانت بقربه الآن.

كم هي بحاجة اليه! ليتها سافرت الى امستردام! عندما غفت، كانت الساعة قد قاربت الثالثة بعد منتصف الليل.

وما هي الا ساعات قليلة حتى اطل الصباح وجاء معه العمال والمهندس بيشوب. فاستيقظت اوليفيا على اصواتهم وضجيج المطارق. نهضت من فراشها لتلقي عليهم تحية الصباح وتعد لكل منهم فنجاناً من القهوة.

مر الوقت بسرعة. وبعد ان تناولت طعام الغداء برفقة المهندس، حلا لها ان تسمع اسطوانة من اسطوانات زوجها. وفيما راحت تستمع الى الموسيقى العذبة سمعت صوتاً يناديها:

ـ اوليفيا! اوليفيا! اين انت؟

فأجابت بأعلى صوتها نظراً للضجيج الذي كان يحدثه العمال:

ـ انا هنا يا بيتر! تعال!

فدخل بيتر الى الغرفة وهو يحمل جريدة اعطاها لأوليفيا قائلاً:

ـ خذي واقرأي ثم ابدي رأيك.

فأجابت ضاحكة:

ـ اعطني لاقرأ.

وصرخت صرخة اندهاش حين قرأت المقال الذي يروي قصتها ويتضمن صورة لديلاني وهو يعانقها يوم زفافها. وقالت:

ـ انك رائع يا بيتر. ولكن المقال يتعدى الصفحتين وهذا غير معقول. لقد قدمت لي الكثير.

اجابها بيتر:

ـ ولكن الصفحتين غير كافيتين للتحدث عن حب امرأة عظيمة لعازف بيانو عظيم.

فقالت بشيء من الخوف:

ـ ان المقال جيد والكلمات صحيحة ولكني. . .

لم يدعها تتابع كلامها:

ـ لكنك تخافين من الاعداء، أليس كذلك؟

تنهدت عميقاً واجابت:

ـ ليس فقط من الأعداء. بل اني اخاف من ردة فعل ماكير.

فطمأنها بيتر قائلاً:

ـ ان كان ما كتبته حقيقة فليس عليك ان تخافي اي شيء.

ظل الخوف يسيطر عليها وعبثاً حاولت ان تتجاهله وازداد خوفها حين هم بيتر بالانصراف، فعرضت عليه فنجان قهوة، لكنه رفضه قائلاً:

ـ اني على عجلة من امري. قد اعود في المساء واشرب قهوتك الطيبة. ولكني الآن على موعد مع ندوة صحفية تتعلق بالمقال الذي سوف ينشر غداً. جئت فقط اريك الصيغة النهائية، وغداً ننشره في

الصحف الدولية والمحلية.

ثم توقف قليلاً وسألها:

ـ هل تعلمين انني اتقاضى مبلغاً كبيراً من وراء هذه القصة؟ اني اشعر ان من واجبي اقتسامه معك.

فضحكت اوليفيا وقالت:

ـ ولكني لست. . .

فقال مقاطعاً:

ـ اعلم انك لست بحاجة الى المال فأنت امرأة ثرية. على كل حال كل ما اتمناه هو ان يساهم هذا المقال في رجوع ديلاني اليك. فتكون نهاية سعيدة لقصة حب جميلة.

فأجابت اوليفيا بصوت حزين:

ـ ان امنيتك وهم يا بيتر. فماكير لن يعود الي بعد الذي حصل بيننا. انه على وشك الزواج من تلك المرأة الرهيبة. انه يريد تلك اللعينة الى جانبه.

فسألها بيتر:

ـ وهل انت متأكدة من ان ماكير يريد ذلك؟ لماذا تزوجك اذن؟ كان باستطاعته ان يتزوج حين علم بأمر طلاقها. لقد رفض الزواج بها بسببك ايتها الغبية!

ضحك قليلاً وهو يضيف:

ـ هل نظرت يوماً في المرآة؟ الم تشاهدي جمالك الفائق؟ انت مثال الانوثة يا اوليفيا ولا افهم كيف تخشى امرأة مثلك، امرأة كأنيتا. الآنسة برامبلا هي التي يجب ان تغار منك وتخشى جمالك.

قال لها ذلك ثم خرج وقد زرع الأمل في قلبها من جديد. وبعد خروجه، عادت اوليفيا تستمع الى الاسطوانات وغفت على المقعد في الزاوية.

في صباح اليوم التالي، استيقظت على صوت والد بيتر يناديها:

ـ سيدة ديلاني! صباح الخير، هل نمت على هذا المقعد؟

فابتسمت له وقالت:

ـ لقد غلبني النعاس ونسيت نفسي هنا.

رد لها الابتسامة وقال:

ـ جئت ابحث معك مسألة هندسة الحمام واسألك عن الالوان المفضلة لديك.

وحين بدأت تجيبه، سمعت في الخارج اصواتاً غريبة ورأت من النافذة سيارات عديدة تصطف امام المزرعة. كان معظم القادمين من الرجال، وسرعان ما بدا لها انهم صحافيون.

فقالت للسيد ايفنس:

ـ يا الهي! ارجوك ساعدني على مجابهتهم! ماذا علي ان افعل؟ كيف التخلص منهم؟ كيف عرفوا عنواني؟ انا لم اعطه لأحد كما ان السيدة قابر وصديقي دانيال لم يكن لديها اية فكرة عن وجودي في المزرعة.

رد السيد ايفنس:

ـ ارجو ان تهدئي من روعك يا سيدة ديلاني. لا تخافي. اذهبي وقابليهم فأنت قوية ولديك القدرة على مجابهتهم، مهما كانت

الاسلحة التي يصوبونها اليك.

تشجعت اوليفيا ونزلت الى الدار حيث احتشد عشرات الصحافيين والمصورين. ثم لحق بها راف وهو ينبح وكأنه يدافع عن سيدته التي سألها احد الصحافيين:

ـ هل هذا الكلب معتاد على الغرباء؟

فأجابته اوليفيا بلهجة قاسية:

ـ لا! ليس معتاداً عليهم وهو يستعد لينقض عليكم جميعاً ويرمي بكم خارج منزلي.

فقال احدهم بشيء من السخرية:

ـ لن يخيفنا الكلب يا سيدة ديلاني، ولن يردعنا عن الهدف الذي جئنا من اجله.

فنظرت اليه اوليفيا طويلاً وسألت:

ـ وما هو الهدف الذي تريد تحقيقه ايها الشاب؟

فأجابها بكل هدوء:

ـ القصة يا سيدة ديلاني! تلك القصة التي رويتها لزميلنا بيتر ايفنس.

فقالت وشيء من الغضب يسكن صوتها:

ـ انها ليست مجرد قصة. انها الحقيقة.

فسألها صحافي آخر:

ـ يقولون انك على وشك الطلاق من زوجك. هل هذا صحيح ايضاً؟

قالت ساخطة:

- ليس لدي اي تعليق على هذا القول.

وحين ادركت انهم قد يظنون هذا الخبر صحيحاً، لأنها لم تعلق عليه، اضافت:

- انها مجرد اشاعة يتداولها الناس الذين لا يملكون اي عمل يقومون به.

فسألها مرة اخرى:

- هل صحيح ان السيدة برامبلا ستتزوج بماكير ديلاني بعد ان يطلقك؟

فصرخت بوجهه:

- ومن تكلم عن طلاق بيني وبين ماكير!؟ سبق ان قلت لك ان قضية الطلاق مجرد اشاعة، لا اكثر.

وحين رأتهم يكتبون، تساءلت عما يكتبونه ويدونونه فهي لم تقل الشيء الكثير، وتابعت قائلة:

- ان السيدة انيتا برامبلا مجرد صديقة لزوجي. وتربطها به علاقة عمل وثيقة... فهي عازفة موسيقى كما تعلمون وقد جمعها عالم الفن بزوجي منذ زمن بعيد.

وسألها صحافي ثالث:

- نرى انك تعيدين بناء هذه المزرعة. هل ستعيشين فيها بمفردك؟

اجابته اوليفيا وكانت ثورة غضبها قد هدأت قليلاً:

- لا! لن اعيش هنا بمفردي. عندي راف.

واشارت بنظراتها الى الكلب الذي راح ينبح حين سمع اوليفيا تردد اسمه.

وفجأة علا في المدخل صوت مألوف يقول:

- فقط راف؟ الم تنسي احداً؟

واذا بالرجل صاحب الصوت، يدخل ويصب جام غضبه على الصحافيين، قائلاً:

- بحق الجحيم، ماذا تفعلون في منزلي؟ ومن اذن لكم بالدخول؟

فصرخت اوليفيا بدهشة، قائلة:

- ماكير؟! ماكير!

علق احد الصحافيين على المشهد فقال:

- النهاية السعيدة.

فالتفت ماكير اليه وقال ساخطاً:

- اخرج من بيتي والا ستكون نهايتك سعيدة! اخرجوا كلكم من بيتي! هيا!

فأجابه بكل وقاحة:

- قد تندم على ذلك يا سيد ماكير.

فرد ماكير:

- اني نادم لأني لم اصل قبل الآن لأمنعكم من الدخول.

فأصر الصحافي قائلاً:

- قد نسيء الى سمعتك.

رد ديلاني على الفور:

- اني لا اكترث لسمعتي اطلاقاً.

واضاف بعد ان عانق اوليفيا:

- ان كل ما يهمني هو بقائي الى جانب زوجتي.

ثم نظر اليهم وكان الغضب قد تبدد من عينيه وقال بلهجة ساخرة:

ـ ارجو ان تتفهموا وضعي الدقيق. فأنا بحاجة الى زوجتي. لقد وصلت لتوي من هولندا ولم ار زوجتي منذ فترة طويلة وانا مشتاق اليها، اعتقد انكم فهمتم قصدي.

فضحك الجميع وخرجوا من المنزل تاركين الحبيبين وحدهما.

١٠ - سمفونية العودة

ابتعدت السيارات عن المزرعة فترك ماك اوليفيا ودخل الى المطبخ ليعد القهوة. لحقت به وقد احست بانه تبدل وتغير مزاجه. دنت منه فسألها:

ـ هل تريدين بعض القهوة؟

تجاهلت سؤاله وردت عليه بسؤال اخر:

ـ ماك؟ هل انت بخير؟

صب القهوة في فنجانه ثم اخذ منها رشفة واقترب من النافذة. اجال نظره في الخارج. لكن اوليفيا عادت تسأله:

ـ ماك، لماذا لا تجيبني؟ اريد ان اعرف سبب عودتك الى المزرعة؟ ولماذا رحت تلعب امام رجال الصحافة دور الزوج الحنون؟ هل

اردت ان ينشروا صورة الزوج المحب ويطبعوها في اذهان الناس؟ ام انك تريد ان تجعل عشيقتك تغار؟

فالتفت اليها وقال بشيء من اللوم:

ـ كيف تجسرين على اتهامي بالتمثيل؟ انت التي تلعبين دور الزوجة الحزينة التي تنتظر عودة الزوج بفارغ الصبر.

توقف هنيهة ثم اضاف:

ـ هل انت سعيدة الآن؟ لقد اخذوا منك كل ما ارادوه وسوف يشرحون حياتك، بل حياتنا، ويحولونها الى كلمات. مجرد كلمات يطبعونها على الآلة الكاتبة وينشرونها لتقرأها العيون اللامبالية ولتسخر منها الآذان غير المكترثة. انها حياتي ولم يكن لك الحق في التصرف بها. ان هذه القصة تعنينا انا وانت وحدنا ولا تعني احداً سوانا. كانت الصحافة سبب خلافي مع انيتا برامبلا وسبب وقوع الحادث واصابة ذراعي.

فصرخت اوليفيا:

ـ ارجوك يا ماك، لا تبالغ في ذلك. ولا تلق كل اللوم على الصحافة. ثم انك لا تعرف السبب الحقيقي الذي رويت من اجله هذه القصة واطلعت بيتر ايفنس عليها.

اجابها ماكير ساخراً:

ـ طبعاً، هنالك سبب وجيه. كنت تغارين من الشهرة التي نلتها واردت ان تلفتي الانظار اليك، لأنك زوجة العازف الشهير.

حدقت به اوليفيا طويلاً، ولاحظت ان غضبه لم يدم الا قليلاً. ورأت في عينيه بريقاً هادئاً، تساءلت ان كان بريق الحب الذي عهدته

في عينيه اما زال يحبها؟

خطا ماك بضع خطوات نحو اوليفيا التي راحت ترتجف عندما وضع ذراعيه حول جسمها النحيل ثم رفع رأسها ليحدق بعينيها. راحت انامله تداعب خصلات شعرها المسترسلة على كتفيها وتلمس اطراف جفنيها التي بدت وكأنها تردد انشودة فرح.

وحين داعبت انامله عنقها . . . . . . كانت تذوب من الرقة وتشعر انها عاجزة عن المقاومة. واحنت اوليفيا رأسها على كتف حبيبها وراحت تردد:

ـ ما احلى الرجوع اليه! ما احلى الرجوع اليه!

لكنه همس في اذنيها:

ـ اريد عناقك.

ليته طلب منها اكثر من ذلك. فهي كانت على استعداد لتهبه كل شيء. وبعد ان عانقها قال وكأنه يسخر من زوجته:

ـ هيا! اخبري الصحافة انك قبلت العازف الشهير. هل كنت تعتقدين ان القصة التي نشرتها الصحف قد تؤثر على مشاعري وتعيدني اليك؟ هل كنت تعتقدين انها كافية لاسامح كل الاكاذيب التي قلتها لي في الماضي؟ ثم من دفع للمهندس والعمال؟ من اين لك كل هذا المال؟ هل يملك حبيبك مصرفاً؟

عندئذ صرخت اوليفيا باعلى صوتها:

ـ اني انا من دفع المال وليس غيري! صدقني!

فسخر من كلامها قائلاً:

ـ كذبة اخرى.

- لا! انها ليست كذبة. صدقني، انها الحقيقة! لم تعرف يوماً ان خالتي كانت ثرية وقد ورثت كل اموالها واملاكها بعد موتها. لقد دفعت من هذا المال لأرمم المزرعة.

فضحك ضحكة مصطنعة وقال:

- كم انا سعيد الحظ بزواجي من امرأة ثرية وكريمة.

اوقفته عن الكلام وقالت:

- لم اعد احتمل كلامك اللاذع وسخريتك المستمرة، المؤلمة. ان كنت تجهل كل شيء عن ثراء خالتي فهذا يعود الى اهمالك وعدم اهتمامك بحياتي السابقة. حين جئت الى المزرعة، لأول مرة، كنت بحاجة الى امرأة تفي حاجاتك المادية. فوجدت في تلك المسكينة التي فقدت عائلتها ولم يكن لديها مأوى تلجأ اليه. وحين ادركت انني لست سهلة المنال، قررت ان تلبسني خاتم الزواج لاستسلم لك. ولكني كنت مجنونة حين اعتقدت انك تحبني. كنت معتوهة ومجنونة!

جلست على المقعد وتقاطرت الدموع من عينيها. لكن دموعها لم تؤثر في ماك الذي قال:

- كنت انا الهدف الأساسي من نشر قصتك ولكنك فشلت في تحقيق هذا الهدف.

فسألته قائلة:

- هل تظن انك كنت انت فعلاً الهدف؟

كيف تخبره الحقيقة؟ كيف تقول له ان انيتا برامبلا كانت هي الهدف؟ لو اخبرته ذلك لازداد غضبه، لا سيما انه يحب تلك المرأة.

فسألته:

- ماذا تريد ان تفعل الآن؟ هل تريد ان تطلقني؟

اجابها:

- اعتقدت ان الطلاق كان الهدف الوحيد من انفصالنا. كنت تريدين ان تطلعي العالم على اننا ما زلنا متزوجين لذلك فضلت ان احضر الى هنا واعلن طلاقنا. سأمنحك الحرية الكاملة واتركك تركضين الى احضان صاحبك. ولكني آسف ان اخبرك بأنني قررت البقاء هنا، هذه الليلة فقط، ومعك انت بالذات.

تركها وصعد الى الغرفة فلحقت به اوليفيا. وراحت تراقبه وهو يخلع ثيابه فالتفت اليها وقال:

- ما بالك الا تستطيعين ان تنتظري بضع دقائق.

فقالت له:

- لن اسمح ليدك ان تلمسني، لن ادعك تفعل ذلك.

فسألها متعجباً:

- ولكن لم لا؟

فأجابت وهي تحدق به:

- لقد اصطحبت معك انيتا برامبلا في جولتك الأخيرة. لا تحاول ان تقنعني بانك لم تشاطرها الفراش. ولا تعتقد انني انتظرتك بشوق لتأتي الي، بعد ان كنت مع تلك الحقيرة. اريد الطلاق يا ماك. الحقيقة هي انني انا التي امنحك الطلاق لتذهب اليها وترتمي في احضانها.

فهتف بتعجب:

ـ وتلومينني ايضاً؟ وتتهمينني؟

فصرخت بوجهه:

ـ اني لا الومك. ولا اتهمك. اعرف انك تحبها وتفضلها علي. لذلك اطلب منك الطلاق، وافعل ذلك من اجلك.

سألها ضاحكاً:

ـ من اجلي؟ كم انت لطيفة وحساسة! لم ار في حياتي نزاهة تفوق او تنافس نزاهتك. ما من حنان يوازي او يعادل حنانك، يا زوجتي العزيزة!

ثم اضاف غاضباً:

ـ انت تفعلين ذلك من اجلك وصاحبك والتنغ!

فصرخت مرة اخرى:

ـ لا! لا تذكر اسمه كلما تنازعنا وتشاجرنا. انني للمرة الأخيرة، اقول لك ان دانيال صديق لي، لا اكثر.

فأجابها:

ـ قولي ذلك للكلب. قد يصدقك راف، اما انا فلن اصدقك مهما قلت ومهما فعلت.

وامام عناده وصراخه، خرجت من الغرفة وتوجهت الى المطبخ لتعد طعام الغداء الذي تناولاه بصمت. وبعد ان شربا القهوة، بدأت اوليفيا الكلام:

ـ لقد رأيتك ليلة عزفت في مدينة امستردام. كان عزفك... كان عزفك جيداً لا بل انها اجمل مرة سمعتك تعزف فيها.

انتظر لحظات ثم اجابها:

ـ شكراً لك على هذا الاطراء.

فسألته:

ـ كنت تعزف في هولندا، فكيف عدت بهذه السرعة؟

اجابها:

ـ ولكني لم اكن في الطرف الآخر من الأرض.

ـ ولكنك ذكرت ان سفرك طويل وقد يستغرق اسابيع.

فابتسم دون ان يقول لها شيئاً فتابعت:

ـ كنت اذن تكذب علي حين قلت انك ستبتعد لفترة طويلة عن البلاد؟

سألها بانزعاج:

ـ ولكن الا تكفين عن الاسئلة والكلام؟ ثم هل ازعجتك عودتي الباكرة والمفاجئة؟ هل اساءت الى خططك ومشاريعك؟ هل كنت بانتظار...؟

فصرخت اوليفيا:

ـ اخرس! انك حقاً لسافل.

ونهضت لتخرج من الغرفة. حاولت ان تركض لكنه استوقفها وشدها اليه، فراحت تضربه وتقول:

ـ اني اكرهك! اكرهك يا ماكير كونال! اني اكرهك.

لكنه حملها رغماً عنها وصعد بها الى الغرفة فرماها على السرير. عبثاً حاولت الهروب من بين يديه. ورغم شوقها، حاولت اوليفيا ان تبعده عنها وظلت تصرخ:

ـ دعني يا ماك! لا، لا تفعل! ارجوك ان تدعني! اني لست، اني، قد اكون حاملاً.

قالت ذلك بعد تردد ولكنه بدا وكأنه لم يهتم لما قالته فأجابها:

ـ وهل تعتقدين انني اهتم لذلك؟

فاغمضت اوليفيا عينيها لتحبس دموعها. كيف تخبره بانها اسعد امرأة في العالم؟ كيف تقول له ان لا شيء بات يهمها اكثر من انجاب هذا الطفل الذي تحمله في احشائها؟

يا له من طفل تعيس بسبب والده القاسي! ارادت ان تصرخ في وجهه وتقول:

ـ اني اريد هذا الطفل! اني اريد طفلك.

ولكنها لم تجرؤ على ذلك. فنهض ماك عن السرير وارتدى ثيابه وخرج من الغرفة. لحقت به وسألته:

ـ الى اين؟ الى اين تذهب؟

اجابها دون ان ينظر اليها:

ـ اني خارج للنزهة ولست بحاجة الى من يرافقني.

فقالت له:

ـ اعرف ذلك. اعرف انك تحب الوحدة. فانت ناسك يرفض ان يدخل احد الى عالمه. لا بأس! اذهب وحدك. فانا ايضاً تعودت على الوحدة. اذهب وان شئت لا ترجع ابداً.

قالت ذلك دون ان تعي ما تقوله ... من شدة غضبها وحزنها.

خرج وبقيت وحيدة تنتظر الليل وتراقب عقارب الساعة تشير الى الثامنة ثم التاسعة فالعاشرة وبعدها الحادية عشرة حتى اعلنت منتصف الليل. لكن ماكير لم يرجع بعد الى المزرعة.

لم تغف عينا اوليفيا ولم يغمض لها جفن. كانت خائفة، مرتعبة. وعند منتصف الليل، خرجت من غرفتها وقررت ان تترك المزرعة، ان تلحق به وتبحث عنه. لم تعد تحتمل الانتظار اكثر من ذلك. فخرجت تبحث عن زوجها في ظلمة الليل الحالكة. لبست ثياباً دافئة لكنها نسيت ان تنتعل حذاء ملائماً، وراحت تسير حتى ابتعدت عن المزرعة. واخذت تنادي اسمه:

ـ ماك! ماك! ماك!

حاولت ايضاً ان تنادي الكلب:

ـ راف! راف! راف!

وبدأ الخوف يسيطر عليها وظنت ان ماك قد تاه في الغابة او انقض عليه حيوان مفترس. كانت تصرخ اسمه فيرد عليها الصدى:

ـ ماك! ماك!

كانت تركض كالمجنونة وتتسلق الصخور حتى وصلت الى قمة التلة. وبحركة لا شعورية داست على حجر فوقعت على الارض محدثة ضجة. واصطدم رأسها بالحجر، فصرخت بصوت لا واع:

ـ ماك!

وغابت عن وعيها لبضع ثوان. ثم فتحت عينيها حين سمعت راف ينبح بالقرب منها. ودنا منها ماك وسألها:

- ما الذي جاء بك الى هنا، وفي مثل هذه الساعة؟
اجابته وهي ترمقه بنظرة حنان:
- لقد تأخرت كثيراً وخفت ان. . .
سكتت وتأوهت من شدة المها، ثم تابعت قولها:
- لماذا تركتني وحيدة كل هذه المدة؟
اجابها:
- اردت ان افكر. . . علي ان ابتعد عنك وانساك.
ورغم الجفاء الذي ارتسم في عينيه، حملها وعاد بها الى المزرعة.
حين وصلا، صعد بها مباشرة الى الغرفة فوضعها على السرير وتمدد الى جانبها دون ان ينطق بأية كلمة.
لكن اوليفيا لم تستطع ان تبقى صامتة. كانت تريد ان تشرح حقيقة مشاعرها فسألته:
- ماك! لماذا تعتقد انني لحقت بك ورحت ابحث عنك؟
فالتفت اليها وحدق في عينيها دون ان يجيب فتابعت قائلة:
- لقد دفعت ثمن الاثاث من مالي او مال خالتي، اذا اردت. ان دانيال مجرد صديق كان يعزيني في وحدتي ويسليني بعد ان تركتني.
توقفت وترددت قبل ان تضيف:
- لقد ذهبت، ذات يوم، الى مكتب فالتون لأبحث عنك فوجدتك برفقة انيتا وانت تعانقها . . . هل كنت تعلم بوجودي؟

فأجابها بصدق:
- اجل.
سألته من جديد:
- اذن لماذا رفضت ان تقابلني؟
فأجابها بشيء من اللامبالاة:
- اردت ان انتقم منك وان اثأر لحبي.
سألته مرة اخرى:
- لماذا اصطحبت انيتا معك الى امستردام؟
فنظر اليها بصمت ثم اجاب:
- لم اصطحبها معي بل انها هي التي ارادت ان تأتي وتلحق بي.
واضاف ببرودة:
- لماذا اطلعت بيتر ايفنس على قصتنا؟
اجابته بعد تردد:
- هل تريد ان تعرف الحقيقة؟
فهز رأسه. قالت:
- حسناً! سوف اطلعك عليها. لقد هددتني انيتا ومنعتني من رؤيتك. قالت انها سوف تسيء الى مهنتك اذا حاولت ان اراك.
ارتسم التعجب على جبين ماك وقال:
- اردت اذن ان تحافظي على مهنتي وسمعتي. وهل تعنيان لك الكثير؟

فأجابت اوليفيا بصوت خافت، مفعم بالصدق:

ـ كيف لا اهتم بها وانا زوجتك؟

وامام صدقها الذي لم يكن يقبل اي شك، نهض عن السرير واشعل سيكارة ثم قال:

ـ لقد جمعت انيتا كل الاغراض التي اشترتها ورحلت. وانا الآن سعيد برحيلها عني.

وتابع وكأنه يحدث نفسه:

ـ يوم تركتني انيتا لتتزوج من رجل غيري، خاب املي واصبحت في حالة يأس وكآبة. وشيئاً فشيئاً، بدأت اكرهها واكره كل نساء الأرض. وحين تعرضت لحادث السيارة، اردت ان ابتعد عن كل معارفي وان اعيش في مكان ناء حياة ناسك. لذلك اشتريت هذه المزرعة لأنعم بالوحدة التي كنت بحاجة ماسة اليها. ثم جئت انت. ومنذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها، شعرت نحوك بشيء من الحب. حين غادرت المنزل، في اليوم التالي، جعلت راف يلحق بك ليعيدك الي.

كانت الحمى تهز جسمي وتلهب شفتي وكنت اردد اسمك. وعلمت يومها انك الفتاة الوحيدة التي كنت ارغب في ان تبقى الى جانبي، مدى حياتي وطوال عمري. بالأمس، وانا في مدينة امستردام، عزفت لك، عزفت الحبا.

اجهشت اوليفيا بالبكاء وقالت:

ـ حبذا لو تعلم كم احبك! لن اتركك ابداً! لن اتركك ابداً يا حبيبي. خذني بين ذراعيك وضمني الى صدرك. اني احمل طفلك يا

ملاك ولن اتخلى عنه ابداً. لن اتخلى عنكما ابداً.

راح يقبلها ويقول:

ـ يا حبيبتي، يا زوجتي ويا حياتي، سوف تحمل احشاؤك طفلنا ولن اتخلى عنك ابداً. لن ادعك وحدك منذ الآن!

ثم ضمها اليه وغرقا في احلى سمفونية حب عرفها العالم!